2024 م

1446 هـ

رسالة في التعليم

تأليف

ياسر المدني

رسالة في التعليم

تأليف

ياسر احمد المدني

2024م/1446هـ

المقدمة

الحمد لله رافع الارض في الفضاء, منزل الماء من السماء, باسط الرزق لمن يشاء, خالق الخلق على خفةٍ في الثقل, مموجه من غير ادراك مثقل عند الادراك,جاعل العالم من الذرات للرائي, متغير في خفايا الادراك, سبحانه ما اعظمه, خلق كل شيء وامكنه, وبصفاته قومه, وبإدراك الانسان لها افهمه و افحمه.

اما بعد ومنذ ان خلق الله الخلق جعل معرفة العلم الذي يتعلمه, ويدرك حقائق الموجود ويفهمه, وما اعظمه من علم, فبه تشفى الصدور, وتعقل العقول. ما أنبل العلم وتعلُّمه؟وما اجمل العقل وتفهمه؟

لكن التعلم الان يمرض القلوب التي هي في الصدور, ويقتل العقول, ويجعل المعقول غير معقول. أصبح المجتمع سفيهًا وغير مفهوم, في هذا النظام التعليمي البائس, غير المجدي, غير الواقعي, غير العملي, بل هو عبثي، عشوائي, ركيك البنيان, ذليل بيد الافكار التافه, عبد لحقراء السياسة, وكل سنة يخرج لنا دفعات من معطلي العقول, لا يعلمون الى اي وجه ينقلبون؟

اما انا قد اندفعت مباشرة بعد تخرجي وتحصلي على درجة البكلوريوس في الفيزياء الى كتابة هذه الرسالة وقلبي يتقطع للوقت الذي اهدر في غسل ادمغتنا.

محاولة فهم غير المعقول لا معقولة, وتفتيشها في كل مقولة ايضا غير معقولة, وتعليم العالم على الانا محزونة, فإن فهمنا للأنا مرهونة, بالخروج من انانيتها الى المعلومة, وادراكها للافهام مجبورة. فتح انوار الطريق عسيرة, وإن خدعوك بأنها يسيرة, فلا تسلم لأفهامهم القصيرة,فإنهم ليسوا على بصيرة, من الحقائق المنيرة, ومسك طريق العقل والنفس ذليلة.

والاثر الذي تركه العلم هو العلماء حتى لو ظننت ان العلم اوجده العلماء, العلم هو من اوجد العلماء بعد ان سمح لهم ما سمح. وترك الذكر لهم عربون شكر, فالذي لم يجالس العلم خرج من غير اثر. هذا العلم صعب المنال واصبح تحصيله حاجة للارتقاء, لكن المعرفة لم تعد مجرد خيار بل اصبحت اجبار, في هذا الزمان حتى يعيش الانسان حياة فاضلة يجب عليه تحصل المعرفة, ومناهل المعرفة صارت اكثر سيجدها الفرد بالقرب منه في الاجهزة

المتطـورة , لكـن هـذا التحصـيل لا يسـاعده النظـام التعليمـي القـائم بشـكل صـحيح, لقـدم النظـام وتفـوق الزمان عليه, ولذالك وجب ان نبدع نظاما جديدا.

ما هو التعليم الاكاديمي؟

في اللغة اليونانية القديمة، تأتي كلمة "أكاديميا" من اسم أكاديموس، وهو بطل أسطوري يوناني. كان هناك في ضواحي أثينا بستان أو حديقة تُسمى الأكاديمية نسبة إلى البطل الأسطوري أكاديموس. في هذه الحديقة، أسس أفلاطون مدرسته الفلسفية في عام 387 قبل الميلاد، وسُميت هذه المدرسة "الأكاديميا" التي تُعتبر أول جامعة تعليمية في العالم. ومن هنا، أصبحت كل المؤسسات التعليمية في العالم تُعرف بالأكاديميا.

إذن، فإن فكرة التعليم الأكاديمي قد انطلقت من تلك الحديقة وشقت طريقها عبر الأزمان حتى يومنا الحاضر. أما أفكار مؤسسها أفلاطون، فسنناقشها لاحقًا، لا سيما تلك التي أخذها من أستاذه الفيلسوف سقراط، وكذلك أفكار تلميذه أرسطو، الذي أحدث ثورة تعليمية ما زالت آثارها باقية إلى يومنا هذا.

الأكاديميات ليست بالضرورة مؤسسات علمية فقط، بل توجد أيضًا أكاديميات للرياضة، والطبخ، وغيرها من الفنون والحرف والعلوم. إن أساس الأكاديميا هو التعليم بصورة عامة، الذي ينقل عبر الأجيال الكثير من المعارف في شتى المجالات. لذلك، فإن التعليم الأكاديمي ليس هو التعليم ذاته، بل هو الطريقة التعليمية المبتكرة.

التعليم مقدس كما أوردت في المقدمة، ولكن الأفكار التي أسست التعليم هي أفكار بشرية، شابتها الكثير من الشوائب والأخطاء. لذا، عندما أقول إن هذا النظام التعليمي غير صحيح، لا أقصد التعليم ذاته، بل الأفكار التي شكلت وصاغت التعليم وفقًا للمنظور البشري الذي شابه بعض الشوائب المدمرة. وبسبب الأيديولوجيات الفكرية لبعض المفكرين، أدى ذلك إلى قتل بعض خصائص التعليم المهمة بسبب قلة فهمهم لخصائص التعليم الأساسية. زلّت أقلامهم وزاغت، وهذا كان واضحًا لكل المفكرين، ولكن لم يتفوه أحدهم بحرف لأن الناس لا يتبعون الأفكار، بل يتبعون الحكماء والمفكرين والقادة دون الرجوع إلى العقل للتحقق من الأفكار المطروحة.

يتبع الناس مجموعة من القادة لأسباب عديدة، لكن أهم هذه الأسباب هو انشغالهم في الحياة وعدم تفرغهم للمسائل المعتبرة أو التفكير بها. إن انشغال الناس في الحياة جعل من حياتهم التعليمية الفكرية والأخلاقية محدودة بحدود القادة الذين يتبعونهم. وأفضل مثال على ذلك هم المسلمون، فالأغلب يتبعون القادة الدينيين عند الرجوع إلى المسائل، لعدم تفرغهم للاطلاع الذاتي على جميع المسائل. وأنا لا أنتقد الجميع على تقليد قادتهم دون الرجوع إلى البحث الذاتي، فلهم حقهم في ذلك لأنهم غير متفرغين. منهم من يعمل النهار والليل لتأمين قوت حياته، ولهذا السبب لا يستطيع أن يتعلم تعلمًا ذاتيًا، بل أصبح تعليمه مقتصرًا على تقليد مثاله الأعلى من القادة، وهذه مشكلة البشرية منذ بدأ التعلم.

الفكر الأكاديمي نشأ من هذا المنطلق. الجميع يعلم أنه عندما تُجبر مئة طالب على تعلم العلم، فإنهم لن يتعلموه، إلا عن طريق التقليد فقط. ولهذا، لن تجد جميع الطلاب قد أصبحوا علماء، لأن طريقة التعليم هي التقليد، وهي وسيلة لإكمال الحياة التي بدأها الأهل في الأساس الأول. لذلك، فإن التعليم الذاتي الفكري صعب جدًا في التعليم الأكاديمي بسبب فكرة التقليد. ولا أعتقد أن هذا النوع من التعليم يمكن كبحه في أي نظام تعليمي، لأنه فطري كالتنفس والجوع والعطش.

حاول أفلاطون تعليم الكثير من شباب أثينا، لكن لم يصبحوا جميعًا علماء، بل القلة منهم. وهذا لا يعني أن أفلاطون قد فشل في تعليم الأغلبية، ولا أنهم قد فشلوا في التعلم. إنما هم لم يتأثروا بالتعليم الذاتي مثلما تأثر أرسطو وأصبح من الحكماء. لم يستطيعوا أن يتحرروا من التعلم عن طريق التقليد. نعم، هم قد فهموا وتحسنت حياتهم بعد أن تعلموا في مدرسة أفلاطون، لكنهم لم يصلوا إلى التعلم الذاتي. ولذلك، فإنهم لم يفشلوا في التعلم ولم يفشل أفلاطون في تعليمهم، إنما النظام التعليمي المتبع هو الذي فشل. قد يتساءل القارئ كيف يمكن أن يكون النظام قد فشل وهو بداية فكرة التعليم الحديث؟

لنفرض أن لدينا مصنعًا لتصنيع المحركات الكهربائية، وقد صنع عشرة محركات، اثنان منها فقط قادرتان على العمل، أما الثمانية الباقية فغير قادرة على العمل. من الناحية التجارية، المصنع قد فشل، لكنه نجح في تصنيع محركات صحيحة، إلا أن هذه النسبة كانت ضئيلة مقارنة بالأخطاء. لذا، عندما يبدأ المصنع التصنيع من جديد، هل سيستمر في صنع الخطأ أم يصحح؟ ونحن منذ قرون لم نصحح الخطأ في عملية الإنتاج، مما أدى إلى فساد المجتمع لأننا لم نصحح الخطأ في عملية الإنتاج.

المحدد الحقيقي لهوية المجتمع من الناحية المعيشية والأخلاقية والعلمية هو التعليم. لكن هناك تفاوت بين مجتمعات العالم، فلماذا هذا التفاوت على الرغم من وجود التعليم في كل المجتمعات الحالية؟ ولماذا هناك فروقات بين أفراد المجتمعات المختلفة؟ ليس هناك مجتمع، حتى وإن ترقى في العلم والتطور، يكون فيه جميع الناس على نفس المستوى الفكري. وكل هذا يعود إلى:

1- فشل النظام التعليمي المتبع في تعليم الجميع وكشف الحقائق أمام عقولهم.

2- المقصد من التعليم في هذه الأنظمة ليس مساعدة الناس، إنما مساعدة النظام الحاكم. هذا النظام لا يهتم بتطور وارتقاء الناس بقدر اهتمامه بالحفاظ على الحكم دون تداعيات أو تهديد داخلي (السيطرة على المجتمع).

3- النظام لا يحتاج إلى جميع أفراد الشعب، بل يختبر البعض وينتقيهم ليتم تعليمهم لخدمة النظام، أما البقية فيُعاملون على أنهم بقايا غير مفيدة أو مهمة للنظام الحاكم.

عندما يتنكر الذئب في هيئة خروف لفترة طويلة، سينسى العلة التي جعلته يتنكر وسيظن أنه خروف، ويصدق الخدعة التي انطلت عليه. من ظن أن النظام خاطئ وبقي فيه معتقدًا أنه سيغيره، سينسى أن هذا النظام فيه عيوب وسيجر بقيود من يديه إلى الانكسار البشري الذي صنعه النظام التعليمي المليء بالثغرات.

هنـاك العديـد مـن المفكـرين الـذين يعارضـون التعلـيم الأكـاديمي ويطـالبون بإصـلاحات فـي هـذا النظـام المتهالـك. مـن أشـهر هـؤلاء المعارضـين: كـين روبينسـون، جـون هولـت، سـوجاتا ميتـرا، وأشـهرهم هـو المفكـر إيفـان إيلـيش الـذي دعـا إلـى إلغـاء المـدارس ووضـع التعلـيم الـذاتي المنزلـي كحـل بـديل فـي كتابـه "مجتمـع بـلا مـدارس". جميـع هـؤلاء المعارضـين اتفقـوا علـى اللاجـدوى مـن النظـام التعليمـي والتربـوي الأكـاديمي، لأنـه يقتـل الإبـداع لـدى الأطفـال، ويقيـد حريـة تفكيـرهم، ويحدد أسئلتهم الفضولية بل ويضع لهم الإجابات على أسئلة لم يطرحها الأطفال أنفسهم.

رؤية الحكماء المؤسسين للتعليم الاكاديمي

1-سقراط وانطلاق الفكرة

سقراط لم يكن من محبي التأليف او الكتابة، لكنه كان من أكبر المشجعين على التعليم الذاتي. منهجه السقراطي المعروف يعتمد على الحوار المباشر والمفتوح، وعلى الجدل القائم على الأسئلة والأجوبة. بدلاً من تقديم المعرفة بشكل مباشر لتلاميذه، كان سقراط يطرح سلسلة من الأسئلة عليهم ليدفعهم إلى التفكير العميق ويفتح عقولهم. هذا هو نفس المنهج الذي تعلم منه تلميذه الشهير أفلاطون.

كان سقراط يؤمن بشدة بأهمية التعليم الذاتي للفرد، ويعتقد أن المعرفة تنبع من داخل الإنسان. لذلك، استخدم الأسلوب الحواري لأنه الأكثر تأثيرًا في تحريك الإنسان ودفعه إلى الغوص في أعماق ذاته لالتقاط اللآلئ والمرجان من قاع المعرفة. لكنه لم يكن موفقًا تمامًا في هذه النقطة، إذ أن الإنسان اليوم إذا أعطيته الأساس فقط، لن يستطيع بناء المعرفة بنفسه دون توجيه. الحوارات لا تكفي، بل يجب أن تُدعم بالمخطوطات والكتابات لتوسيع الأفق الفكري.

هذا الأسلوب لم يناسب جميع طلاب سقراط، فسقط الكثير منهم في أعماق ذاتهم، بينما نجح قلة قليلة، مثل أفلاطون، وأنتيستثينيس مؤسس الفلسفة الكلبية، وأرستيبوس مؤسس الفلسفة القورينائية، وإقليدس مؤسس المدرسة الميغارية. نجاح هؤلاء نتج عنه تأسيس مدارس فلسفية، مما يظهر أن سقراط نجح في تخريج نخبة عملاقة لكنه فشل في تعليم الجميع.

كان سقراط يؤمن بأن التعليم يحسن من حياة الفرد والمجتمع ككل. لذلك، كان يعتبر التعليم مسألة أخلاقية تتعلق بفهم معنى العدالة والشجاعة، للوصول إلى مجتمع إيجابي قادر على العيش حياة كريمة. لكن التعليم الذي وضعه أرسطو، هل أزال الصفات الرذيلة في المجتمع؟ الأكيد لا، لأن التعليم لم يكن كاملاً ومتكاملاً، بل كان مليئًا بالثغرات. سقراط كان ينتقد المجتمع نقدًا لاذعًا، وخصوصًا النظام الحاكم، وهذا هو السبب الذي جعله يتجرع كأس السم.

سقراط عارض التعليم القسري، معتقدًا أن المعرفة لا يمكن أن تُفرض على الفرد، بل يجب أن يغوص الفرد في داخله للوصول إلى الحقيقة. ولكن، ليس لدى الجميع الإرادة للوصول إلى ما في بحر المعرفة. كيف يمكن تحسين شخص لا يقبل التعمق في ذاته لنيل المعرفة؟ كيف

يمكن إبعاده عن الرذائل إذا كان رافضًا للفضائل؟ ولماذا الفرد غالبًا يرفض الفضائل ويغرق في بحر الرذائل؟

معرفة الفرد لنفسه وتأملها أمر جميل، لكن الدافع الذي يدفع الإنسان إلى التأمل في داخله لا يتوفر دائمًا ولكل الناس. إذا نشأ الفرد في منزل تكون فيه العائلة متعلمة ومتقدمة في سلالم الفضائل، فسيكون الطفل في هذه العائلة من الفضلاء. أما إذا كان الطفل مولودًا في منزل متهالك يخلو من الفضائل، فسيكون وضعه صعبًا في المجتمع. الأطفال يتأثرون باستمرار بالأفراد الآخرين، لذا إذا أردنا من الطفل الجيد البقاء جيدًا والطفل السيء أن يصبح جيدًا ويتطور كلاهما معًا، يجب توفير بيئة مناسبة. لكن المدرسة ليست بالضرورة الحل الأمثل، فقد تزيد الأمور.

2-افلاطون وانطلاق الاكاديميا

لفهم أفكار أفلاطون حول التعليم، يجب علينا أولاً فهم مدينته الفاضلة وكيف يكون التعليم فيها. تعتبر العدالة أساس الدولة التي يحلم بها أفلاطون. حيث يقول: "إن العدالة كانت ستكون مسألة بسيطة لو كان الناس بسطاء". يرى أفلاطون أن الحياة البسيطة تُجنب الناس الحروب والتعاسة والبؤس. ويصفها قائلاً:

"دعنا نتأمل كيف تكون حياة الناس في هذه الدولة... إنهم ينتجون قمحًا وخمرًا، ويصنعون ملابس وأحذية، ويبنون بيوتًا لأنفسهم. في الصيف، يعملون في الهواء الطلق حفاة، وفي الشتاء يرتدون ملابس وأحذية دافئة. يأكلون من خبز القمح والشعير ويصنعون الفطائر وأرغفة الخبز، متكئين على حصائر مصنوعة من القصب أو أوراق الشجر النظيفة، ويتناولون وجباتهم في جو من السعادة مع أطفالهم. يشربون الخمر المصنوعة بأيديهم ويزينون رؤوسهم بالأكاليل الزهرية، ولا تفتر شفاههم عن شكر الإلهة. يعيشون في مجتمع جميل، ويتجنبون الفقر والحرب. يستوردون ما يحتاجونه من بهارات وملح، وزيتون وجبن، وبصل وملفوف وخضروات وأعشاب للطبخ. يستمتعون بالفواكه المجففة والجوز المشوي على النار، ويعيشون بسلام ويتطلعون إلى حياة طيبة حتى يصلوا إلى سن الشيخوخة، ويورثون حياة مماثلة لأطفالهم".

يحاول أفلاطون رسم حياة بسيطة لكنها مليئة بالجمال والمثل العليا، حيث ركز على العمل في الزراعة واعتبرها من أسس المدينة المثالية التي تصورها. لكن، اعتقد ول ديورانت أن أفلاطون يدعو إلى العودة للحياة البسيطة كما قال ديوجين، الذي دعا إلى العودة للعيش مع الحيوانات المسالمة البريئة. وهذا فهم خاطئ؛ حيث أن ديوجين يختلف اختلافًا كبيرًا مع أفلاطون في نمط الحياة. ديوجين عاش في برميل في شوارع أثينا ودعا إلى حياة الحيوان الخالية من التعقيد، بينما أفلاطون عاش حياة أفضل بكثير. رغم أنني أميل إلى ديوجين، إلا أن الحق يجب أن يُقال؛ أفلاطون لم يدعو إلى الرجوع إلى الوراء في الحياة، بل فهم أن الفضيلة تكمن في العمل والخير ونبذ الرذائل والتشبث بالفضائل.

الحياة التي تصورها أفلاطون لا يمكن أن تتحقق دون برنامج تعليمي يعلم الناس الأخلاق وطرق العيش السليمة لتجنب الويلات. كما يقول: "يحرصون أن لا يتجاوزوا الوسائل المعدة لهم، لأنهم يحتاطون للفقر والحرب". لم يستبعد أفلاطون التهديدات الخارجية، وكأنه يقول إن ما نحاول تحقيقه لا يمكن أن يستمر دون التعامل مع الجهلة الذين قد يأتون لتدمير هذه الجنة البشرية.

هذه المدن تحتاج إلى سياسات خاصة لإدارتها، وهذه السياسة هي التي توجه وتسيّر الدولة. كما يشير ابن رشد: "فإن هذا الفن (السياسة) سينقسم إلى جزئيين: يفحص في الأول عن العادات والشيم المكتسبة والأفعال الإرادية بالجملة، وفي الثاني يتم الفحص عن كيفية غرس هذه العادات في النفوس". وغرس هذه الشيم في نفوس الأفراد يتم بطرق مناسبة للتعليم. عندما تُغرس هذه القيم في الأفراد، يصعب إزالتها إلا بعد زرع قيم جديدة قادرة على استبدالها. وهذا أمر غاية في الأهمية ويستحق نقاشًا أوسع في مقالة خاصة.

لفهم الحياة التي يريدها أفلاطون، يجب علينا فهم تعاليمه حول رقي وتكامل الإنسان، ومعرفة الغاية من العيش ذاته. هذه من المسائل المعقدة التي لا يمكن فهمها بسهولة. البعض ينسب الغاية إلى الآلهة، والبعض الآخر إلى رقي الجنس البشري، وآخرون يعيشون من أجل الآخرين. هذا الاختلاف في معنى العيش يؤدي إلى اختلاف طرق الحياة، والتعليم التقليدي لا يجدي في معالجة هذه المسائل المهمة. التعليم الحالي يقتصر على تعليم حدود البلدان وتاريخ الحروب التي كتبها المنتصرون، بينما تبقى الأسئلة الأعمق حول هدف الحياة، وأسباب الحزن والشقاء، والموت، والحياة، محرمات ممنوعة في المدارس.

في كتاب "الجمهورية"، يجري حوار مثير بين سقراط واديامنتوس يناقشان فيه أهمية التعليم في حياة الإنسان:

سقراط: "يظهر لي وجود سببين في انحطاط الفنون".

اديامنتوس: "ما هما؟".

سقراط: "الغنى والفقر".

اديامنتوس: "كيف يعملان؟".

سقراط: "عندما يصبح صانع الخزف غنيًا، فكر مليًا، هل سيقاسي أية آلام مع فنه؟".

اديامنتوس: "لا بالتأكيد".

سقراط: "سينمو أكثر فأكثر تراخيًا وإهمالًا".

اديامنتوس: "حقيقي جدًا".

سقراط: "والنتيجة أنه سيصبح صانع خزف سيئًا؟".

اديامنتوس: "نعم، وسيزداد فسادًا".

سقراط: "لكن إذا لم يكن لديه مال، ولم يقدر على تجهيز نفسه بالأدوات اللازمة لحرفته، فلن يكون عمله جيدًا، ولن يتمكن من تعليم أولاده أو تدريب المتدربين عنده بجودة".

اديامنتوس: "لا بالتأكيد".

سقراط: "سيكون العمال وعملهم عرضة للانحطاط بسبب الفقر والغنى على حد سواء".

اديامنتوس: "هذا جلي".

سقراط: "الشرور الجديدة تكشف هنا، والتي سيراقبها الحماة باهتمام، أو أنها ستزحف إلى المدينة دون قواعد أو قانون".

هذه الحلقة بين الجودة والتدهور تتجلى في الفقر والغنى، حيث يعتبر الترف والرفاهية معطلاً حقيقيًا للتعليم. إذا عاش الفرد في رخاء، لن يكون لديه دافع للسعي وراء التعلم، وإذا كان

فقيرًا، سيكون من الصعب عليه النجاح لعدم توفر مقومات التعلم الأساسية. لا الغنى المترف ولا الفقر المدقع يجعل الإنسان مبدعًا، وهذه إحدى الأفكار الرائعة التي قدمها أفلاطون على لسان سقراط.

يعتقد أفلاطون بضرورة تربية الأطفال لحمايتهم من عادات آبائهم. لا يمكن إقامة مدينة مثالية بأطفال صغار أفسدهم كبارهم. يجب منح كل طفل فرصة متساوية للتعلم منذ البداية، لأنه لا أحد يعرف من أين ينبع ضوء العبقرية. المرحلة الأولى هي تعميم التعليم في البلد.

أفلاطون أشار إلى أن تعليم الأطفال بمعزل عن كبارهم هو الخطوة الأولى لبناء المدينة المثالية التي يحلم بها. وفي العشر سنوات الأولى، يجب أن يكون التعليم معنيًا بصحة الأطفال البدنية، مع توفير الملاعب والساحات الرياضية في كل مدرسة. اللعب والرياضة البدنية ينبغي أن يكونا جزءًا أساسيًا من مناهج التعليم، لأن أفلاطون يعتقد أن الصحة الجيدة تنبع من النشاط البدني، ويجب تجنب الحاجة إلى الأدوية التي تنجم عن حياة الترف والراحة.

بعد العشر سنوات الأولى، يتناول التعليم كل العلوم مثل الحساب والهندسة والفلك، بجانب دراسة الموسيقى. الموسيقى في نظام أفلاطون التعليمي مهمة جدًا لأنها تحمل الجمال والجلال إلى الروح، وتساهم في تحسين الأخلاق وتحديد القضايا الاجتماعية والسياسية. يقول أفلاطون: "عندما تتغير أساليب الموسيقى، تتغير معها قوانين الدولة الأساسية".

في المرحلة التالية، من سن الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين، يتحول التعليم إلى النقاش حول جميع المعارف السابقة، وتمتاز هذه المرحلة بالنقاش والحوار عن العالم وطبيعته.

أما المرحلة الأخيرة، من سن الخامسة والثلاثين إلى سن الخمسين، فهي مرحلة الفلاسفة المفكرين والحكام في دولة أفلاطون الفاضلة.

وضع أفلاطون نظامًا للرسوب والنجاح حيث أن الذين يفشلون في الامتحانات الأولى لا يُستبعدون بل يُخصصون لأدوار أخرى مثل مساعدي الدولة أو الضباط العسكريين. لكنه يدرك أن هذا النظام ليس واقعيًا تمامًا. على سبيل المثال، قد يحلم طالب بأن يصبح طبيبًا لكنه لم يحصل على العلامات المناسبة لذلك، وقد يجد نفسه محاسبًا رغم أنه لا يرغب في هذا المجال.

نظام الطبقات الذي اقترحه أفلاطون يعتمد على الفكرة بأن الطبيعة تفرض تقسيمات بين الناس. يجب أن نعلم الأفراد أنهم جزء من نظام إلهي يحدد أدوارهم بناءً على قدراتهم. يعتبر أفلاطون أن السماح لغير المؤهلين بحكم الدولة سيؤدي إلى انهيارها. ويرى أن التعليم يمكن أن يحدد المعادن التي يمثلها كل شخص، ويجب أن يحاسب الله الناس على أفعالهم في الحياة.

في النهاية، رغم كل المثل العليا التي تصورها أفلاطون، لم يصل إلى تحقيق حلمه في المدينة الفاضلة. أثينا التي أعدمت معلمه سقراط بقيت على حالها

في استعراض النظام التعليمي لأفلاطون وما رافقه من طبقات وفلسفات، نرى أنه رغم عمق الأفكار وتنوعها، لم تحقق المدينة الفاضلة التي حلم بها أفلاطون نجاحًا مستدامًا. على العكس، الحضارة الصينية استمرت بفضل نظامها التعليمي البسيط، الذي ربما كان مفتاح بقائها وازدهارها حتى اليوم.

يتجلى في نظام أفلاطون التعليمي إصرار على تربية النخب الفكرية والعسكرية والسياسية بأسلوب صارم يتسم بالتقسيم الطبقي والتخصص المبكر. ومع ذلك، قد يكون هذا النظام بعيدًا عن الواقعية، نظرًا لأنه يقيد الأفراد ضمن أطر محددة ويعتمد على فرضيات غير قابلة للتغير بسهولة.

من ناحية أخرى، النظام الصيني، الذي ربما يفتقر إلى التعقيد الفلسفي لمدينة أفلاطون الفاضلة، قدم أساسًا مستدامًا لتعليم الأجيال. هذا النظام البسيط يتيح للأفراد فرصة أكبر لاكتشاف مهاراتهم واهتماماتهم بطريقة طبيعية، مما ينعكس على تقدم المجتمع بشكل عام.

وهنا يأتي السؤال الأساسي: هل التعقيد والنظام الصارم هما ما يحتاجه المجتمع لتحقيق الحضارة الفاضلة، أم أن البساطة والمرونة هما المفتاح للاستدامة والازدهار؟ يمكن أن يكون النظام التعليمي الناجح هو ذلك الذي يوازن بين تنظيم المعرفة وتوجيه الأفراد دون تقييدهم، مما يسمح لهم بالتطور الطبيعي والمساهمة في المجتمع بطرق تتماشى مع قدراتهم ورغباتهم الفطرية.

أفلاطون في فلسفته حاول توجيه المجتمع نحو الكمال عبر منهج تعليمي صارم يعتمد على تصنيف الأفراد منذ سن مبكرة. لكن ربما فاتته فكرة أن الحرية في اختيار المسار التعليمي والمهني يمكن أن تكون هي ما يدفع المجتمع نحو تحقيق التوازن والتقدم الحقيقي. فالنظام

التعليمي الناجح قد يكون ذلك الذي يوفر بيئة خصبة لتطوير الإبداع والابتكار، دون أن يفرض قيودًا قاسية على الأفراد.

في الختام، يمكننا أن نستخلص أن لكل نظام تعليمي جوانب إيجابية وسلبية، وأن التعلم من تجارب الحضارات المختلفة يمكن أن يساعد في تطوير أنظمة تعليمية حديثة تلبي احتياجات المجتمع بشكل أفضل. وفي عصرنا الحالي، الذي يتسم بالتغيرات السريعة والتقدم التكنولوجي، يجب أن نسعى لبناء أنظمة تعليمية مرنة وشاملة تركز على تعزيز قدرات الأفراد وتحقيق التوازن بين التخصص والابتكار.

3-ارسطو والتطبيق افكار معلميه

ولد أرسطو سنة 384 في مدينة أسطاغيرا على حدود مقدونيا، وكان أبوه طبيبًا لدى الملك المقدوني أمنتاس الثاني، والد فيليب والد الإسكندر. وعندما بلغ الثامنة عشرة، قدم إلى أثينا لاستكمال دراسته. فانضم إلى الأكاديمية وسرعان ما تميز بين أقرانه، فسماه أفلاطون "العقل" لفرط ذكائه و"القراء" لسعة اطلاعه.

أرسطو تتلمذ على يد المعلم الفذ أفلاطون قرابة العشرين سنة، ولكنه ناقش أفكار معلمه. تأثر أرسطو بخيال معلمه أفلاطون في إقامة مدينة فاضلة، فبدأ بوضع الأسس والقواعد لتأسيس هذه المدينة، وكل أفكاره المتعلقة بقيام هذه المدينة وردت في كتاب "السياسة". وبالطبع، كان للتعليم والنظام التعليمي حظ في كتاباته، وسأناقش وأحلل في هذه الرسالة فقط الكتاب الخامس من كتاب "السياسة".

أبرز إنتاج لأرسطو في التعليم هو تعليم الإسكندر المقدوني، الفاتح العظيم. بعد أن دعاه أبوه لتعليم ابنه الإسكندر، استلمه أرسطو كالثور الهائج، مثلما أشار ول ديورانت، وحول هذا الشاب الكثير الشرب إلى تلك الشخصية الأسطورية. هذا يحسب لأرسطو كأفضل إنتاج تعليمي في الأزمنة الغابرة. هذا التغيير الذي أحدثه أرسطو يجب أن يعاد النظر إليه وبحثه بدقة عالية للخروج بنتائج تخدم التعليم، ولإخراج أشخاص مختلفين ومؤثرين في هذه الحياة.

كان أرسطو متميزًا قبل أن توصله رحلته إلى الأكاديمية ليكون تحت إشراف الحكيم الكبير أفلاطون، وكان له أثر بالغ. لكن أرسطو لم يحذُ حذو أفلاطون حرفيًا، بل كان يميل إلى

العلـوم الطبيعيـة ويمزجهـا بـالعلوم العقليـة، وهـذا عكـس أفلاطـون. يتضـح هـذا الأمـر إذا أخـذت كـل العلـوم الطبيعيـة وبحثـت فـي جـذورها، سـتجد أن أرسـطو لـه فيهـا بصـمة خالـدة. يظهـر هـذا فـي الطـب، الـذي كـان أول انشـغال علمـي طبيعـي لـه، ومـن ثـم انتقـل إلـى علـم الأحيـاء، حيـث وضـع أسـس هـذا العلـم. كـان أرسـطو أول مـن صـنف الأحيـاء لتسـهيل دراسـتها والتعمـق فيهـا، كمـا أسـهم بشكل عظيم في العلوم العقلية، مثل وضعه لأسس المنطق.

أرسـطو كـان محظوظًـا لأنـه وُلـد فـي زمـن أفلاطـون وتعلـم مـن علمـه، وأفلاطـون كـان محظوظًـا لأنـه عنـدما بـدأ التعلـيم وأنشـأ الأكاديميـة حصـل علـى تلميـذ مثـل أرسـطو ليسـتمر انتقـال الأفكـار وتطورهـا. لأن جـوهر الأفكـار وأجمـل سـعادة يمكـن للحكـيم أن يتحصـل عليهـا هـي عنـد مـا يعطـي، وجـوهر هـذا العطـاء هـو المحافظـة علـى الحكمـة وصـونها وتطويرهـا إن أمكـن. المحافظـة علـى الحكمـة مـن الضـياع والتـدهور تكمـن فـي فهـم كيفيـة كسـب وإعطـاء الحكمـة. يعطـي المعلـم الحكمـة للتلميـذ الـذي يسـتحق تلـك الحكمـة ويحـافظ عليهـا، لأنـه إذا أعطاهـا لأحـد التلاميـذ الـذين لا يسـتحقونها، سـيتم تهمـيش وبعثـرة تلـك الحكمـة. لـذا، انتبهـوا. عنـدما أودع أفلاطـون أرسـطو الحكمة، ساهم في دفع الحكمة إلى منازل كانت تحتاج إلى قرون لكي تصل إليها.

اختلـف التلميـذ مـع الأسـتاذ فـي بعـض النقـاط الصـغيرة فـي التعلـيم، حيـث كـان أرسـطو يـولِي اهتمامـه للطفـل منـذ أن يـأتي إلـى هـذه الحيـاة، لكـن أرسـطو لـم يتفـق مـع معلمـه علـى أن الدولـة تأخـذ الطفـل ولـم يـؤمن بالتربيـة الفرديـة للعائلـة بعيـدًا عـن الدولـة. وضـع أرسـطو نظامًـا يسـمى مفتشـي الأطفـال للمراقبـة. يبـدأ نظـام التربيـة لـدى أرسـطو بتغذيـة الطفـل تغذيـة جيـدة حتـى عمـر الخمـس سـنوات، حيـث يشـدد علـى نـوع التغذيـة التـي يتلقاهـا فـي هـذه السـنين لأنهـا تـؤثر بشـكل كبيـر فـي قـوتهم الجسـدية. يقتـرح تقـديم اللـبن للأطفـال بسـبب الفوائـد التـي يقـدمها، ويمنـع تقـديم الخمـر بسـبب الأمـراض التـي يسـببها. هـذه بدايـة العقلانيـة فـي التوجيـه التربـوي المشـترك بـين الأسـرة والدولـة. كـان قبـول أرسـطو لتربيـة الأطفـال مـن قبـل الأسـرة واقعيًـا جـدًا، علـى عكـس أفلاطـون. ولكـن ليحـرص أفلاطـون علـى أن العائلـة لا تعلمهـم سـوى الإيجـابي فقـط، وأنـه إذا بـدر مـن العائلـة تصـرف خـاطئ، تتـدخل الدولـة لتربيـة الطفـل بالشـكل الصـحيح. لمـاذا عمـد أرسـطو إلـى هـذا المـنهج فـي التربيـة؟ لأنـه يعتقـد أن هنـاك عـائلات تكـون مصـدرًا للشـرور فـي المدينـة وتـزود المدينـة بالسـفهاء والقتلـة والسـراق، ولكـن هنـاك عـائلات تكـون مصـدرًا للخيـر فـي المدينـة مـن خـلال نتـاجهم الصـالح. ولكـن عنـدما يلتقـي هـؤلاء المتناقضـون فـي الشـارع، مـن سـيؤثر علـى مـن وكيـف سـيؤثر؟

وهل هناك طريقة لجعلهم يتأثرون بقيم المدينة وينصاعون لتلك المثل العليا الموضوعة؟ سيتم الإجابة عن ذلك في ما بعد.

أرسطو يرفض إعطاء الأطفال حرية الحركة بل يحد منها للحفاظ على أعضائهم الرقيقة من التشوه، ويشير إلى بعض الأمم التي تستخدم آلات لتقوية الأعضاء والمساعدة على النمو بشكل جيد. وأشار إلى تعويدهم منذ طفولتهم على احتمال البرد، فإن ذلك نافع في تدبير الصحة وفي الحرب. من خلال هذا المنهج، يجعل أرسطو للطفل الأساس فقط ولم يحدد هوية الطفل منذ نعومة أظفاره، فهو يضع كل الاحتمالات الممكنة، وهذا أفضل منهج تربوي تعليمي أساسي.

وفي هذه السنين الخمس، لا يطلب منهم مرانة عقلية ولا متاعب عنيفة تعيق من نموهم، بل ينبغي أن يطلب منهم النشاط الضروري لتجنب الكسل الجسدي. وقد يمكن تحريض الأطفال على العمل بوسائل شتى، ولا سيما باللعب. أضيف إلى كلام أرسطو أنه يجب أن يطلب منهم النشاط العضلي الضروري لتجنب ضعف التفكير، ويمكن ذلك من خلال الألعاب العقلية بالإضافة إلى الألعاب البدنية، وبخاصة الألعاب الحسابية الرياضية، لأن الرياضيات هي لغة المادة في هذه الحياة وفهمها يمكننا من التواصل مع ما يحيطنا من مواد. لذلك، علينا أن نجعل الرياضيات مثل اللغات في التعلم، منذ أن ينطق الطفل حرفًا يتعلم رقمًا.

بعد سن الخامسة، يبدأ الطفل التعلم من المجتمع تعلمًا تحليليًا بعد اجتيازه للتعلم الحسي. وهنا يشير أرسطو إلى دور مفتشي الأطفال، حيث يكونون مراقبين على كل الأقوال والحكايات التي تطرق آذانهم الناشئة، وكل ذلك من أجل إعدادهم للأعمال التي تنتظرهم فيما بعد. ويجب أن تكون ألعابهم مبادئ للتمرينات التي سوف يأخذون أنفسهم بها متى تقدمت بهم السن. يقول أرسطو إنه من الخطأ الكبير أن تتصدى القوانين لكبت صراخ الأطفال وعويلهم. يعترض أرسطو على قوانين أفلاطون، ويعتقد أن الصراخ والعويل ضروريان لنمو الجسم. ولكنه يوصي مفتشي الأطفال بمراقبة اختلاط الأطفال بالعبيد، الذي يجب أن يكون قليلاً فقط عند الضرورة. ليست هذه عنصرية من أرسطو تجاه العبيد، فبداية الأمر أحزنني مثل هذا الكلام من حكيم، لكن عندما تمعنت جيدًا وجدت أن هذا أمر ضروري لأن العبودية في ذلك الزمن كانت أمرًا واقعيًا. العبيد في ذلك الوقت كانوا يشكلون مجتمعًا له أبعاده الخاصة، لم يكونوا متعلمين

بشكل كامل ولم يمتلكوا الدافع للحياة سوى العيش، لذا إبعاد الأطفال عنهم يساعد في إخراج ناس فاضلين ومشفقين عليهم.

يركز أرسطو على تجنيب الأطفال رؤية وسماع كل مشهد وكل قول فاحش يزري بالرجل الحر، ويشدد على المجتمع أن ينفي الفحش من المدينة كما ينفي كل رذيلة منها. لأن الإنسان متى سمح لنفسه بقول الفواحش أوشك أن يسمح لها أن تأتيه، فينبغي منذ الطفولة اجتناب كل قول وفعل من هذا القبيل. أرسطو لا يقصد نفي الشخص القائل أو الفاعل للفواحش من المدينة، بل يقصد نفي الصورة السيئة من داخل المدينة. بعد أن نهى أرسطو عن القول الفاحش.

ما يرى أرسطو أن القانون يجب أن يمنع على الشباب شهود القطع التمثيلية البذيئة أو المضحكة حتى يبلغوا سنًا يستطيعون فيها أن يتبوأوا مقاعدهم في المائدة العامة ويشربوا النبيذ صافياً. عندها فقط يُعتبرون قادرين على التمييز بين ما هو لائق وما هو غير لائق.

يتطرق أرسطو أيضًا إلى ضرورة تأهيل الأطفال نفسيًا وأخلاقيًا، حيث يرى أن الأساس الأخلاقي يجب أن يُرسخ منذ الطفولة. فالفضائل والآداب الحسنة لا يجب أن تُعتبر مجرد جزء من التعليم المدرسي، بل يجب أن تُزرع في نفوس الأطفال كجزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية. وهذا يتطلب من المجتمع بأكمله، وليس فقط من الأسرة، أن يكون قدوة حسنة للأطفال.

إلى جانب الاهتمام بالصحة الجسدية والأخلاقية، يولي أرسطو اهتمامًا كبيرًا بالتعليم العقلي للأطفال. يعتقد أن التعلم يجب أن يبدأ بتعليم بسيط وممتع، من خلال الألعاب والقصص التي تتناسب مع أعمارهم ومستوياتهم الفكرية. ويجب أن تكون هذه الأنشطة وسيلة لتشجيع الفضول والتفكير النقدي، وليس فقط لحشو عقولهم بالمعرفة المجردة.

فيما يخص التعليم الأكاديمي، يشدد أرسطو على أهمية تعليم الأطفال المواد الأساسية مثل القراءة والكتابة والحساب منذ الصغر. ولكن الأهم من ذلك هو أن يُعلم الأطفال كيف يفكرون وكيف يستخدمون عقولهم لحل المشكلات. وهذا يتطلب تطوير مهاراتهم التحليلية وقدرتهم على التفكير المستقل.

في السنوات اللاحقة من التعليم، يُقترح أن يتم توسيع نطاق المواد التعليمية لتشمل العلوم والفلسفة والفنون، بحيث يكون للأطفال رؤية واسعة وشاملة للعالم من حولهم. ويرى أرسطو

أن التعليم يجب أن يكون مستمرًا ومتجددًا طوال حياة الإنسان، لأن التعلم ليس هدفًا بحد ذاته، بل وسيلة لتحقيق حياة جيدة وفضيلة.

أرسطو لم يكتف بوضع نظريات في التعليم فحسب، بل وضع أيضًا منهجًا عمليًا يمكن تطبيقه في تنظيم المجتمعات. وهذا المنهج ليس فقط لتعليم الأطفال، بل أيضًا لتوجيه الكبار في مساعيهم لتحقيق مجتمع مثالي، حيث يكون التعليم هو العمود الفقري لهذا المجتمع.

في الختام، يمكننا أن نرى أن رؤية أرسطو للتعليم هي رؤية متكاملة وشاملة، تهتم بجميع جوانب التنمية البشرية. إنه يربط بين التربية الأسرية والتعليم الرسمي، وبين الصحة الجسدية والنمو العقلي، وبين الفضائل الأخلاقية والمعرفة الأكاديمية. ورغم مرور آلاف السنين على كتاباته، لا تزال أفكار أرسطو حول التعليم تتسم بالكثير من الحكمة والرؤية الثاقبة التي يمكن أن نستفيد منها اليوم.

الاسلوب النهائي للمدرسة الاكاديمية الاكلاسيكية

قصدتُ دراسة هؤلاء الحكماء الثلاثة لأنهم هم من وضعوا التعليم الوضعي وحددوا حدوده، فإنما فهم ما توصلوا إليه سيمهد للغاية الحقيقية من التعليم الحالي. وليس بالضرورة فهم الطبيعة المجتمعية التي مهدت لظهور التعليم كمقصد سياسي؛ في النهاية، الغرض من التعليم كان سياسيًا في المقام الأول. ومن يجمل ويقول إن الغاية التي دفعت الناس إلى جعل التعليم هو الأساس لبناء شعب متحضر مثالي إما جاهل قد توهم وهمًا عظيمًا، أو إنه سياسي لعين.

كان الأسلوب التعليمي في ذلك الوقت مقتصرًا على الاستفادة القصوى من الناس في الدولة لقيامها، ونظام أفلاطون في النجاح والرسوب خير مثال؛ حتى الراسبون لهم مخطط لجعلهم نافعين للدولة والاستفادة القصوى منهم. وشدد أفلاطون على أن يتعلموا كل علم تحتاجه الدولة حتى يقوموها من كل الجوانب. وبسبب فهم أفلاطون للتباين الفكري بين الناس، جعل من هذا النظام هو الحل الأمثل.

أفلاطون كان يرفض بشكل قاطع انتخاب الناس للساسة الذين يديرون البلاد. الناس ينتخبون الشخص الذي لديه القابلية على إقناع الجمهور من خلال هتافات عاطفية أو من خلال خطابات تجذب العقول؛ أي أنهم انتخبوا اللسان ولم ينتخبوا العقل المفكر واليد العاملة. وهذا الوضع قائم إلى يومنا. في مدينتي التي أعيش فيها، عندما كنت في عمر الثامنة عشرة، كنت قد بلغت السن القانوني للتصويت فلم أنتخب أبدًا في تلك السنة. كنت في تلك الفترة ألعب مع أحد الفرق الشعبية، وعندما سألت اللاعبين الذين كانوا يلعبون معي "من ستنتخبون؟" أجابوا "فلان ومن غيره؟"، لأنه يحضر لنا الكرات والقمصان الرياضية وينظم لنا البطولات الرياضية. هذه الأسباب دفعتني إلى التساؤل: هل حقًا الساسة يُنتخبون بهذه الصورة؟ هذا النظام الديمقراطي المقزز الذي رفضه أفلاطون، والله إني رافضه. السبب في جهل الناس في الاختيار هو ضعف النظام التعليمي الذي قصر عقول الناس وجعل من أفهامهم سهلة الخداع، وهذا مبتغى الدولة التي تدير هذا النظام الفاشل عندنا والناجح والمثالي عندهم.

أمـا النظـام التعليمـي الـذي وضـعه أرسـطو، فكـان مختلفًـا عـن النظـام الموضـوع مـن قبـل معلمـه أفلاطـون. اهـتم أفلاطـون بالتربيـة كأسـاس للتعلـيم، حيـث لـم يضـع للطفـل حتـى سـن المراهقـة وبدايـة الشـباب أي نظـام تعليمـي؛ لأنـه لـم يكـن مؤمنًـا بتسـيير الطالـب بمـا تريـد الدولـة بشـكل كامـل كمـا فـي نظـام أفلاطـون، حيـث يعمـل علـى تربيـة الشـخص أولًا ومـن ثـم يسـاعده فـي سـلوك المسـلك الـذي هـو يحبـه وإن فـي هـذا إبـداع أكثـر. أرسـطو كـان يميـل إلـى خدمـة الدولـة بقلـب راضٍ ديمقراطـي، هـذا مـا فكـر بـه عنـدما وضـع أسـس منهجـه التربـوي. تخيـل معـي أبـوين: الأب الأول يلاطـف ابنـه ويقـدم لـه مـا هـو يريـده ومفيـد لـه، لا يمـد يـده عليـه قـط، ويربيـه علـى هـذا الـود والـدلال. أمـا الأب الثـاني، فكـان علــى العكـس؛ لا يعطــي الحريــة لابنــه، لا يبتســم فــي وجهــه، صــارم معــه، ويضـربه إن أخطــأ ولــو خطـأً بسـيطًا. أي الأبنـين سـيعتني بوالـده عنـدما يكبـر ويصـيبه العجـز مـن كـل قلـب وروح؟ هـذا هـو أســاس المـنهج الـذي انتهجـه أرسـطو فـي وضـع النظـام التعليمـي لمدينتـه الفاضـلة واعتبـره أساسًـا لها.

أمــا ســقراط، الأســاس لمنبــع كــل هــذه الأفكــار مــن تلميــذه وتلميــذ تلميــذه، كــان يــرفض فــرض التعلـيم علـى النـاس، وكـان محبًـا للتعلـيم الـذاتي الـذي يوصـل الفـرد للمعرفـة الإيجابيـة مـن تلقـاء نفسـه ومــن غيــر إجبــار. وهــذا الحكــيم الغريــب كــان ينظــر للحيــاة نظــرة حتــى أبــرز تلامذتــه أفلاطــون لــم يفهمهـا، وهـو كـان منبعًـا للمـدارس فـي العـالم الفلسـفي. لا أعلـم، ربمـا ديـوجين كـان قريبًـا إلـى نظرتـه للحياة. فالتعليم بالنسبة له لم يكن يحتاج إلى نظام أو إنشاء مدارس ولا رعاية من الدولة.

التعاليم في الحضارات

الحضارة الصينية

التعاليم في هذا الحضارة امر غاية في الدهشة, كيف لحضارة لم تسقط الى الان؟ وما يدعوا للدهشة اكثر هو بقاء التعاليم من غير ان تختفي, حتى الحضارة الاسلامية لم تصل لهذا المستوى من الثبات في البقاء والزدهار, ولطالما كانت الصين عبر التاريخ قوة ثابة وسبب ذلك تماسك تعاليمها. وتلك التعاليم لم تكن ذات عمق يدعوا للتسائل في امور عميقة جدا وتدعو للتعمق والتجذر, بل العكس الفلسفة الصينية امتازت بكونها فلسفة حياتية اخلاقية وحياكة التعاليم لهذا المنطلق انشئ شعب قويا على مر العصور.

تعاليم الحضارة الصينية معقدة ومتنوعة، وتمتد عبر آلاف السنين، مشكّلةً نسيجًا من الفلسفات والتقاليد التي أثرت على كل جانب من جوانب الحياة الصينية. إليك المزيد من التفاصيل حول هذه التعاليم:

1- الكونفوشيوسية:(儒家思想 - Rújiā Sīxiǎng)

المبادئ الأساسية :الكونفوشيوسية تركز على القيم الأخلاقية مثل الإنسانية(仁 - Rén) ، والصواب (义 - Yì)، والأدب(礼 - Lǐ) ، والحكمة(智 - Zhì) ، والأمانة.(信 - Xìn)

الأخلاق الاجتماعية :تشدد الكونفوشيوسية على أهمية العلاقات الإنسانية السليمة من خلال المبادئ الخمسة الأساسية: العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بين الأب والابن، بين الزوج والزوجة، بين الأخوة الكبار والصغار، وبين الأصدقاء.

التعليم والمجتمع :يُعتبر التعليم ركنًا أساسيًا في الكونفوشيوسية. كان ينظر إلى العلماء والمسؤولين على أنهم مثالٌ يحتذى به في المجتمع. أُنشئت الأكاديميات الكونفوشيوسية لتعليم الأدب والفلسفة الكلاسيكية.

2- الطاوية:(道教 - Dàojiào)

مفهوم الـ"داو :"الطاوية تركز على مفهوم "الداو" (الطريق أو الطريق الصحيح) وهو قوة خفية تسير كل الأشياء في الكون. الاعتقاد الأساسي هو أن العيش وفقًا للطبيعة و"الداو" يؤدي إلى السعادة والسلام الداخلي.

العمل غير المتعمد :(無為 - Wú Wéi) يشير إلى التصرف بطريقة طبيعية وغير قسرية، بحيث يتماشى الفرد مع التدفق الطبيعي للأشياء بدلاً من محاولته السيطرة عليها.

البساطة والتواضع :الطاوية تشجع على عيش حياة بسيطة ومتواضعة، بعيدًا عن التعلق بالماديات والسلطة.

الفلسفة الروحية :الطاوية تتضمن ممارسة التأمل، والفنون القتالية (مثل تاي تشي)، والبحث عن الخلود الروحي والجسدي من خلال الحفاظ على توازن القوى الداخلية.

3- البوذية:(佛教 - Fójiào)

الانتشار في الصين :دخلت البوذية إلى الصين في القرن الأول الميلادي وتأثرت بالثقافة الصينية مما أدى إلى ظهور مدارس بوذية صينية مثل "زن.(禪 - Chán) " بينما دخول المسيحية لم يحدث نفس التأثير الذي ادخلت البوذية بسبب قرب البوذية من التعاليم الصينية الاخلاقية.

مفهوم الكارما والدورة الحياتية :تؤمن البوذية بالكارما (الأفعال والنتائج) والتناسخ، حيث تؤثر أفعال الفرد على حياته المستقبلية.

الهدف النهائي :يهدف البوذيون إلى الوصول إلى "النيرفانا"، وهي حالة التحرر من المعاناة والرغبات. ويتم الوصول لهذه الحالة من خلال التأمل وفعل بعض الامور المقاربة للتصوفة بشكل ادق.

الطقوس والممارسات :تشمل البوذية طقوسًا مثل التأمل، وإقامة الأعياد الدينية، وتكريم المعلمين الروحيين. وهذه الاعياد مشابهة للاعياد بالتعاليم الباقية في الصين.

4- الفلسفة القانونية:(法家 - Fǎjiā)

الحكومة والقانون :تؤكد الفلسفة القانونية على أهمية القانون في الحكم وإدارة الدولة. كانت الفلسفة القانونية أساسًا لسياسات الصين القديمة، خاصة في عهد أسرة تشين.

السيطرة والقوة :الفلسفة القانونية تدعو إلى حكم صارم حيث يستخدم الحاكم قوانين قوية وعقوبات قاسية للحفاظ على النظام والسيطرة على المجتمع.

الواقعية السياسية :تختلف هذه الفلسفة عن الكونفوشيوسية والطاوية، إذ تركز على القوة والسيطرة بدلاً من الأخلاق والانسجام الطبيعي.

5- الفن والثقافة:

الفن الصيني :تأثر بشكل كبير بهذه الفلسفات. تتجلى الكونفوشيوسية في الرسم التقليدي والشعر الصيني الذي يعبر عن احترام الطبيعة والأسلاف. بينما يعكس الفن الطاوي بساطة وتلقائية، مع التركيز على التفاعل مع الطبيعة.

الطب الصيني التقليدي :يعتمد على مبدأ التوازن بين القوى المتضادة (ين ويانغ) والصحة الروحية والجسدية، وهو متأثر بشدة بالفلسفة الطاوية.

العمارة والتصميم :تأثر تصميم الحدائق الصينية والعمارة بفلسفة الين واليانغ ومفاهيم الطاوية حول الانسجام مع الطبيعة.

6- الممارسات الاجتماعية:

احترام الأسلاف :في الحضارة الصينية، يُعتبر احترام الأسلاف ركيزة أساسية. يتم تكريم الأسلاف من خلال طقوس دينية وتقديم القرابين، وهذا يعزز الروابط العائلية والتقاليد.

الأعياد والمناسبات :هناك أعياد تقليدية مثل عيد الربيع (السنة الصينية الجديدة)، وعيد منتصف الخريف، حيث يتم الاحتفال بها مع الأسرة وتقديم الشكر للأسلاف.

7- الأخلاق الشخصية والعامة:

الفضيلة والتربية :يتم تعليم الأطفال منذ الصغر أهمية الفضائل مثل الصدق، والاجتهاد، والطاعة، والاحترام. التربية الصينية التقليدية تشدد على أهمية القيم العائلية والجماعية.

الاقتصاد في العيش :هناك تقاليد صينية تدعو إلى الاقتصاد في النفقات، وتجنب البذخ، والعيش وفقًا لمبادئ البساطة والاعتدال.

8- التأثير في العصر الحديث:

التعليم الحديث :تستمر الصين في تبني وتعليم هذه الفلسفات في مدارسها وجامعاتها، حيث تظل الفلسفات التقليدية جزءًا مهمًا من الثقافة الصينية الحديثة.

الحوكمة والسياسة :الفلسفات الصينية القديمة، وخاصة الكونفوشيوسية والفلسفة القانونية، لا تزال تؤثر على النظام السياسي والاجتماعي في الصين اليوم.

هذه التعاليم مجتمعة تشكل الأساس الذي بنيت عليه الحضارة الصينية على مر العصور، وما زالت تؤثر بشكل كبير على الثقافة والمجتمع الصيني حتى اليوم.

هذه التعاليم التي حددت المجتمع الصيني وكيفية تعامله مع الامور يذكر ان التتار عندما غزوا الصين واحتلوها بعد انهيار الاسرة الحاكمة في ذلك الوقت, لكن الشعب الصيني شعب يحب التعليم فاخذ الشعب الصيني يعلم التتعار الهمجين التعاليم التي تمكنهم من بناء حضارة, وهذا الامر مهم جدا فان بقية الحضارات اذا تعرضت للغزو فان اول الامور التي ستتعرض للتدمير والتبديل هي التعاليم والقيم الاخلاقية, لكن الذي حدث هنا كان مختلف تمكنت الصين من نشر تعاليمها لدى التتار وتعليمهم القيم والاخلاق والالتزام.

الحضارة الهندية

تمتلك الحضارة الهندية كم هائل من التعاليم الفلسفية في كل جوانب الحياة، وتلك التعاليم عجيبة لكنها امتداد هائل للعجب الهندي، اليوم عندما نتكلم عن التعدد الديني او الفكري دائما سيتبادر الى الذهن الهند وهذا امر واضح ولا اختلاف فيه، رغم وجود بعض من الصراعات بين تلك المعتقدات والاديان الا انه في المجمل العام هنالك انسجام بين الناس بعيدا عن المعتقد. هذه النقطة احتاج الى ان اسلط الضوء عليها، كيف لهذا التعدد الهائل بالاعتقاد والتفكير لا يكون حاجزا بين الناس مثلما هو موجود في بقية بقاع العالم؟ ولا اقول ان الهند فيها انسجام بين الناس بشكل تام بل اقول من خلال الملاحظة والطبيعة البشرية انه

الهند يجب ان تكون مذبحا للبشر لا مستقرا؟ وجدت ان الحقيقة الاجتماعية بين السكان الهندين ليست الاعتقادات الدينية، بل التعاليم الانسانية التي وجدت من البداية، اليس هذا مثير للاهتمام يجب بحثه؟ اذا كانت التعاليم الاخلاقية في مجتمع قوية فان التعصبات الدينية سيتم كبحها، وان التعاليم الاخلاقية الهندية انما هي اعجب التعاليم البشرية.

وهذه التعاليم رسمت الهند في كل جوانبها الحياتية، والرؤية المختلفة التي تشكلت للنظام المجتمعي في الهند من قبل المفكرين الاوائل الذين شكلوا النظام المجتمعي للهند، وحتى نفهم الطبيعة التي وصلت لها الهند يجب علينا فهم النظام المجتمعي فيها الذي يمكن فهمه من خلال فهم مفاصيل الحياة الهندية:

الفلسفة الروحية والدينية:

الهندوسية: هي الديانة الرئيسية في الهند، وتعتبر واحدة من أقدم الديانات في العالم. تعتمد الهندوسية على نصوص مقدسة مثل الفيدا (Vedas) والأوبانيشاد (Upanishads). تعاليم الهندوسية تشمل الكارما (Karma) التي تشير إلى أن كل فعل له نتيجة، وسامسارا (Samsara)وهو دورة الولادة والوفاة والتجدد، والموكشا (Moksha) التي تعني التحرر من دورة الولادة والموت.

البوذية: تأسست البوذية على يد بوذا (سيدهارتا غوتاما)، وتعلم بأن الطريق إلى التحرر من المعاناة يكمن في اتباع الطريق النبيل الثماني، والذي يؤدي إلى النيرفانا (Nirvana) أو التحرر الروحي.

اليانية: تركز على مبادئ الأهيمسا (Ahimsa) أو اللاعنف، والساتيا (Satya) أو الحقيقة، والأستيّا (Asteya) أو عدم السرقة، وتدعو إلى حياة منضبطة وروحية.

وهذه الافكار التي شكلت البنية الهيكلية للفكر الهندي، وهي كانت المقياس في قبول الدين او رفضه، ليس هنالك باب اخر للمعتقد الاخلاقي خارج هذه الاسس الفكرية، وان المشترك بين هذه الافكار فكرة واحدة تمثل الجوهر الهندي للطبيعة الاخلاقية وهو اللاعنف او السلام، وهذا هو الدين و المعتقد والفكر الحقيقي للهند.

النظام الاجتماعي:

نظـام الكاسـت (Caste System): المجتمـع الهنـدي القـديم كـان منظمًـا وفقًـا لنظـام الكاسـت الـــذي يقســم المجتمـــع إلـــى أربـــع طبقـــات رئيســية: البراهمـــة (الكهنـــة والمعلمـــون)، الكشـــاتريا (المحـــاربون والملـــوك)، الفيشـــيا (التجـــار والمزارعـــون)، والشـــودرا (العمـــال والخـــدم). كـــان لكـــل طبقـة دور محـدد فـي المجتمـع، وكانـت هـذه الطبقـات ثابتـة وراثيًـا. اي ان الفـرد عنـدما يولـد يولـد وفـق هـذا النظـام الطبقـي العجيـب، اذا كنـت خـادم فـان ذريتـك لـن تكـون عـدا الخـدم، الكاشـتريا قـد ورثـوا هـذه الطبقـة لـيس هنالـك بـاب للاسـتحقاق او الكسـب، نظـام محـزن الـيس كـذلك؟ لا انتظـر حتـى تعـرف كيـف ان هـذا النظـام مقتنـع بـه مـن قبـل كـل الطبقـات. هـم يعتقـدون بمسـألة الكارمـا (Karma) و بشـكل مبسـط وسـهل الفهـم لنفتـرض ان الكارمـا نقـاط يكسـبها الانسـان فـي الحيـاة وهـذه النقـاط تعتمـد علـى فعـل الانسـان اذا كـان جيـدا او سـيئا. وهـم يعتقـدون بتناسـخ الارواح، اي ان الانسـان عنـدما يمـوت جسـده تعـود روحـه فـي وعـاء مـادي اخـر وهـذه العـودة تعتمـد علـى تلـك النقـاط الكارمـا(Karma) اذا كانـت افعـال الشـخص جيـدة فـي حياتـه اي ان لديـه كارمـا جيـدة فانـه عنـدما يمـوت تنتقـل روحـه الـى وعـاء مـادي افضـل اي اذا كـان الشـخص خـادم ولـه كارمـا ممتـازة فانـه سـيعود فـي هيئـة كـاهن ذو مرتبـة اشـرف و اسـما، امـا اذا كـان العكـس سـتعود روحـه الـى وعـاء اقـل ربمـا علـى هيئـة ضـفدع. وهـذه الافكـار هـي التـي كانـت تحـافظ علـى نظـام الطبقـات دون ان يخـل بـه، ان الخـادم لا ينـتفض او يطمـح لان يصـبح مـن البراهمـة لأنـه قـد كـان فـي السـابق قبـل حياتـه هـذه ذو شـأن لكـن عمـل سـوء فنقصـة منـه نقـاط الكارمـا فنسـخ خادمـا، لكـن اذا اسـتمر بالعمـل الجيـد فـي حياتـه الحاليـة مـن الممكـن ان يعـود فـي الحيـاة السـابقة ملكـا. وهـذا يـا عزيـزي هـو اغـرب نظـام حياتي في تاريخ البشرية قاطبة.

القريـة كوحـدة اجتماعيـة: القـرى كانـت تعتبـر الوحـدة الأساسـية فـي المجتمـع الهنـدي، وكانـت الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي.

الفنون والعمارة:

العمـــارة الهنديـــة: تشـــمل تصـــميم المعابـــد الهندوســية والبوذيـــة، التـــي تعكـــس القـــيم الروحيـــة والدينيـــة للحضـــارة الهنديـــة. مـــن أشـــهر المعـــالم تـــاج محـــل، الـــذي يجســـد فنـــون العمـــارة الهنديـــة الإسلامية.

الفنون: تشمل الموسيقى الكلاسيكية، الرقصات التقليدية مثل بهاراتاناتيام (Bharatanatyam)وكاثاكالي(Kathakali) ، والنحت، واللوحات الجدارية التي كانت تعبر عن قصص دينية وأسطورية.

العلوم والتعليم:

الرياضيات والفلك: الهند قدمت إسهامات كبيرة في مجال الرياضيات، بما في ذلك تطوير مفهوم الصفر، والنظام العشري، والجبر. في الفلك، طور العلماء الهنود نظريات حول دوران الأرض حول الشمس ومراحل القمر.

الطب: تطور علم الطب في الهند من خلال الأيورفيدا(Ayurveda) وهو نظام طبي يعتمد على الأعشاب والعلاجات الطبيعية. كان الأطباء الهنود روادًا في الجراحة والمعالجة النباتية.

الأخلاق والقيم:

اللاعنف (أهيمسا): قيمة مركزية في التعاليم الهندية، خصوصًا في الديانة اليانية والبوذية. اللاعنف يعتبر مبدأ أساسي في العلاقات الإنسانية والعلاقة مع جميع الكائنات الحية.

التسامح والتعايش: الهند كانت موطنًا لمجموعة متنوعة من الأديان والطوائف، وقد تميزت بتسامحها الديني وتعايشها السلمي مع مختلف المعتقدات.

الاقتصاد والتجارة:

الزراعة: كانت الزراعة تشكل الأساس الاقتصادي للحضارة الهندية، وكانت المحاصيل الرئيسية تشمل الأرز، القمح، والشعير. نظام الري كان متقدمًا وكان هناك اهتمام كبير بتحسين الإنتاج الزراعي.

التجارة: الهند كانت مركزًا تجاريًا دوليًا، حيث كانت تصدر التوابل، الحرير، القطن، والمعادن الثمينة إلى مناطق مختلفة من العالم. الطرق التجارية مثل طريق الحرير كانت تربط الهند بأوروبا وآسيا الوسطى.

الأدب واللغة:

الأدب السنسكريتي: يشمل نصوصًا مثل المهابهارتا (Mahabharata) والرامايانا (Ramayana)، وهي ملحمتان كبيرتان تقدمان رؤى عن الأخلاق، والسياسة، والحياة الدينية. الأوبانيشاد أيضاً جزء من هذا الأدب الروحي الفلسفي.

الروحانية واليوغا:

اليوغا والتأمل: اليوغا هي ممارسة روحية وجسدية تهدف إلى تحقيق التوازن بين العقل والجسد والروح. تعاليم اليوغا تشمل أنماط التنفس، التأمل، والحركات الجسدية، وهي جزء لا يتجزأ من الفلسفة الهندية.

الحضارة الهندية، بتعاليمها وقيمها المتعددة، كانت ولا تزال مصدر إلهام للفلسفات العالمية والأديان الأخرى، وأثرت بعمق في مجالات متعددة مثل الأدب، الفلسفة، الفن، والعلوم. لكن هنلك امر يجب ان اناقشه بحذر ودقة مناسبة، لأنه غاية في الاهمية. بسبب التعاليم الهندية فان الهند كانت على مر العصور ارضا للاحتلال والاستغلا، دعنا نذكر اول غزوا لها ثم نعرج الى الغزوا الانكليزي. في الفترة بين

حوالي سنة 1500 ق.م و 1200 ق.م غزا الهند-و- اريون شبه الجزيرة الهندية وهم كانوا مجموعة من الشعوب الهندو- اوربين بيض البشرة عبارة عن قوم بدائين نزحوا من اوربا باحثين عن استقرا كانوا اقرب الى البدو كانت بلاد ما بين السند حضارة كبيرة في ذلك الوقت منشغلين بالزراعة والتجارة على اعتبارهم اول الحضارات البشرية، لكن الهندو- اريون عندما غزوا الهند كانوا قليل العدد بالنسبة الى سكان هناك الذين كانوا يشكلون عددا ضخما، لكن كانت مقاومة ضعيفة وتكاد تكون معدومة، تمكن الهندو-اريون بسهولة استعباد الهند وادخلوا لغتهم التي اصبحت في ما بعد لغة الهند التي هي اللغة سنسكريتية بالاضافة الى احضار بعض النصوص الاساسية التي شكلت في ما بعد الفيدا الكتاب المقدس لقد كان غزوا عسكري ثقافي فكري لقد كان غزوا شامل. وسبب ذلك هو الطبيعة للشعب الهندي الذي يرفض القتال ويبحث عن السلام، وهذه الفكرة هي السبب في تعاسة الهند عبر التاريخ بسبب نظامهم التعليمي المليء بالثغرات، ولم ينتصر الشعب الهندي لنفسه بنفسه مطلقا على مر التاريخ، اما ان يخلصهم ملك او ينتظرون احد ليخلصهم، لن يخلصوا انفسهم بانفسهم مطلقا، عندما غزا الانكليز الهند لم يكن الانكليز افضل من الهند انما الهند كانت في ضل حاكم سيء والشعب لا ينتفض لنفسه مطلقا، واحدث الانكليز مجازر مروعة على طول فترة الاستعمار، وحتى عندما استقلت الهند من الانكليز لم تستقل مثل باقي المستعمرات من خلال المقاومة المسلحة لطردهم، استخدوا المعارضة السلمية مثل الصيام والتجاهل وحتى هذه الثورة لم يقم بها الشعب الهندي بتلقاء نفسه، بل اضطر الى ظهور قائد مثل غاندي حتى ينتفض.

فرق بين التعاليم الصينية التي رسخت نفسها للبقاء والتطور بينما الهند طورت جانب العناء بالاضافة الى المبالغة في الافلام. عندما اعترض بوذا على الفكر الهندوسي و اخذ ينتقد بحدة التعاليم الهندوسية كان الهندوس يستمعون له بانصات، هل تضن انهم سيتركون الهندوسية؟ طبعا لا قولوا له انت اله هندوسي يجب ان تعبد، انا احاول ان اتخيل النظرة التي على وجه بوذا بعد هذا النقاش الذي سار باتجاه مختلف.

التعاليم هي التي تبين الحضارة وهي التي ترسم شكلها عبر العصور لذلك من المهم ان توجه مفكري تلك الحضارة الى التعليم الذي يرفع من مستوى الشعب. الدولة التي تفكر في تطوير الشوارع وضخ الثروة المادية من اجل التطور المعماري غير مكترثة بالتعليم للسكان فانها يجب ان تعلم اذا شيدت تمثال سيعمل السكان على تحطيمه، اذا عبدة طريق وجعلته بصورة متطورة مرة اخرى سيأتي الشعب ليدمره ربما سيبدوا القرميد افضل في مرحاض المواطن الجاهل بدل من الشارع، نظافة الشارع؟ هذا حلم للشارع ليس للدولة فقط.

ان اساس قيام حضارات عظيمة تقدم للبشر المعرفة والحكمة الكبية من خلال الحكماء الذين يصنعون تلك الحضارة، وليست هلك نظام حكم سياسي لاي حظارة غير ايل للسقوط بل وكل الحكومات والانظمة الحاكة ستسقط على وجوهها يوما ما، وهذا السقوط بسبب الظلم الذي ينزل على الشعب مما يؤدي بشكل او باخر الى السقوط. في فترة ازدها الامبراطورية الرومانية لم يضن احد ان مثل هذه الامبراطورية ستسقط وتنتهي في يوما ما، ولكن الحكماء الذين تابعوا هذه الحكومات المتتالية للامبراطورية الرومانية و النظام الاجتماعي فيه، علموا انها ستسقط في يوما، ما بقى من تلك الحضارة فقط ابنية متدمرة واسم يحوم حولها وبعض الاخبار السابقة عنها. الكل الحضارات ستنتهي يوما ما حتى الحضارة الصينية التي صمدت بوجه عواصف التغير وتأقلمت معها. الاشعاع المنطلق من الشمس اذا لم يجد جسما يسقط عليه لن يبقى في الفضاء الشاسع منطلق لأن لديه طاقة محددة ستنتهي في لحظة ما.

الأكاديميا الحديثة

ما هي الغاية؟

لكل علة هناك سبب لوجودها، وأما هذه العلل والأسباب، وإن اختلفت، يبقى الثابت بينهما أمر واحد لا غير وهو الغاية. وكل وجود مادي مدفوع يجب أن تكون هناك غاية لدفعه، وإذا وصل هذا الوجود إلى حالة من السكون سيكون بسبب عدم وجود المؤثر الموجود الذي يدفع الوجود لإيجاد موجود آخر. وهناك أيضًا علة لعدم وجود الموجود، وأيضًا تكون هناك غاية لعدم وجود ذلك الموجود، باعتبار أن الغاية تلازم العلة. سبينوزا يقول "اذا لم تتفق الاشياء بعضها مع بعض في شيء ما، فانه لا يمكن لبعضها ان يكون علة للبعض الاخر" قد توصل هذا المفكر العظيم الى شيء عن الفكرة الكاملة من الغاية لكنه لم يفصل الاسباب عن الغاية بحكمة ولم يتحرر الى الفكرة الاسماء وهذا امر طبيعي بسبب فلسفته عن الله التي حددت ما يتبع من ذلك، وصر دائما على اخراج الاله عن التفكير الحياتي لدى الفرد لأنه سيحدد الحدود الالهية بفهمه الخاص "الناس معتادون على الاعتقاد بأن كل شيء في الطبيعة يحدث لأجل غاية، كما لو أن الله يتصرف بهدف معين مثل البشر. لكني أقول إن هذا سوء فهم؛ فالطبيعة لا تسعى وراء غايات، بل كل شيء يحدث نتيجة للعلة الضرورية". وكاني لا اعلم اين الله من الطبيعة، هو يعتقد ان الله لا يتصرف بغاية مثل البشر، ويشكل على ذلك بقوله ان الطبيعة لا تسعى الى غاية، لكن سعي البشر وحدهم في الطبيعة الى غاية هو غاية في الطبيعة، اذا للطبيعة غاية. عندما يتمدد الكون في الفضاء نعم هو يتمدد لوجود الاسباب التي تجعله يكون بالفعل يتمدد لكن قبل هذا الفعل اي قبل هذا السبب لأبد من وجود دافع وهو الغاية التي تدفع الطاقة المضلمة باختراق العدم لأيجاد اللاشيء الذي تدخل فيه المادة المضلمة حتى تجعل من اللاشيء شيء ومن ثم يتوسع الشيء في الداخل هذا اللاشيء. اذا لابد من وجود غاية حقيقة تحرك الاشياء ولا اقول ان هذه الغاية هي غاية مطلقة والتي تظهر من خلال مجموع الغايات الموجودة لأن هذا الامر لم يثبت لدي الى الان.

وفهم الغايات هو ما يفتح الطريق نحو فهم وإدراك كل شيء في هذه الحياة. وفهمنا لغايات البشر سيوضح أمر التعليم لدينا. من أشهر الأقوال التي سمعناها منذ أن أتينا إلى هذه الحياة هي "الحاجة أم الاختراع"، وهذه العبارة توضح بشدة الاختلاف بين البشر وسائر المخلوقات.

وحاجتنا هي التي تدفع غايتنا نحو ما ينقصنا.ولا اقول ان اساس الغاية هي الحاجة لأن بعض الغايات ومنها الغاية المطلقة ليست بالضرورة ان تكون موجودة بوجود حاجة ملحة لأيجادها. كل المخلوقات امتلكت غاية، لكن غاية الإنسان تفردت لأمتلاكه قوة مخيلة وإدراك عالية جدًا. لو سألنا لماذا الجنس البشري متفوق على سائر الأجناس الموجودة في هذه الحياة؟ سنسمع الجواب الكلاسيكي القائل بأن الإنسان كائن مفكر. وهذا الجواب لم يجب بالشكل الكافي لأن الفرق بينهما من الأساس هي الغاية. الإنسان له غاية أعلى من بقية الحيوانات؛ حيث إن الإنسان إذا شعر بالحرارة العالية ستدفعه غايته لصنع مكيف هواء، بينما الكلب لو شعر بالحرارة لرمى نفسه ببركة من الماء. كلاهما امتلك الغاية للتخفيف من درجة الحرارة، لكن قوة الإنسان التخيلية وسعة إدراكه العالية هي التي جعلت غايته أعلى. هذه الغاية التي ميزتنا عن سائر المخلوقات مكنتنا من الرقي والانحطاط الغبي في نفس الوقت. إذا كانت هناك غاية للخير، فأيضًا هناك غاية للشر ومنبعها الإنسان لاختلاف الأنفس. والغاية هي التي تدفع البشر، فإذا لم تكن هناك غاية لعيش الحياة، حتماً ستكون هناك غاية لعدم عيش الحياة. أما ما هو منبع الغايات لدى جميع المخلوقات فلم يتضح لدي. الغاية هي التي تدفع المخلوقات، فإذا كان منبع الغاية لدى الإنسان هو الرغبة النفسية، فما هو منبع الغاية التي تدفع الحجر؟ فلا أعتقد أن الرغبة هي منبع الغاية، بل إن هناك شيئًا خفيًا أكبر هو منبع الغايات.

أما التعليم فلم تكن له غاية واحدة أوصلته إلى الصورة التي هو عليها الآن، بل غايات متعددة، وإلى الآن ما زالت تنتج الغايات للتعليم. يقول كانط "اعمل بحيث تعامل الإنسانية سواء في شخصك أو في شخص غيرك، دائمًا كغاية وليس كوسيلة فقط" وجود فكرة الخير في الانسان بدون تطبيقها هي الاخلاق الحقيقة، حتى لو تتاح الفرصة الحقيقية لجعل هذا الخير يكون الخارج، فان وجوده في الداخل يجلب السعادة.

كانت غاية الحكماء السابقين من التعليم إقامة حضارة فاضلة ارسطوا يقول "السعادة هي معنى وهدف الحياة، الهدف العام للوجود الإنساني". فكانت الغاية الدافعة للتعليم هي غاية إقامة حضارة فاضلة سعيدة، ومن هذا فإنه لا بد أن تكون هناك غاية أوجدت هذه الغاية. وهذه الغاية ستنتج غاية أخرى وهكذا دواليك. فإذا كانت هناك غاية مثل هذه للتعليم، فلابد انه كانت أيضًا هناك غاية أخرى تختلف بالمبادئ عن الغاية السابقة وهي غاية الدولة. وهذا الاختلاف في الغايات هو أصل مشكلة التعليم الآن. هل فهمت كيف أن الغاية التي شكلت التعليم المضطرب الآن هي سبب الاضطراب؟ فكم أمر نبيل بعثرته الغايات المتضاربة المختلفة؟ فكر معي في

الدين ثم السياسة ثم الأخلاق، وفكر معي على ما سيأتي في السنين القادمة من ازدياد الغايات الباطلة ومن اضطراب وفشل في المنظومة الإنسانية.

يجب ان يفهم الانسان ان الغاية الشخصية التي تدفع به لفعل ما يفعل هي غاية الحصول على السعادة، لكن مفهوم الحصول على هذه السعادة مختلف من انسان الى اخر باعتبار السعادة لا يمكن حصرها في بعد واحد والسعادة الحقيقية لا يمكن الولوج لها بالنفس البشرية الاعتيادية. يقول سارتر "الإنسان هو الكائن الذي يقرر غايته من خلال أفعاله". لأن الافعال لا يمكن ان توجد في الحقيقة من دون وجود غاية التي ستجعلها فعلا في وقت ما، هل الغاية حكم على الانسان؟ نعم، افعال الانسان تكون بسبب اختياراته السابقة المتسلسلة التي تسلسلت معها تلك الغايات. لو ان ريتشرد راميريز لم تكن له غاية في سرقة السيارات لما تسلسلت تلك الغايات المترتبة في تلك الغاية حتى اصبح بعدها قاتلا متسلسلا.

هنلك انسان مفرط في انسانيته وهنلك حيوان مفرط في حيوانيته، كلاهما وصلا لهذه المرحلة بالغايات التي شكلة صورة كاملة عنهما في الحياة، الرب لم يدفع القاتل بالحصول على تلك الغاية بل ترتبت الغايات حتى امتلك تلك الغاية والدور الاخلاقي التعليمي لعب لعبة مهمة في الحصول على تلك الغاية. سحقا لدى فلاطون عبارة جد معبرة عن هذا الامر "الغاية القصوى للروح البشرية هي إدراك الخير الأسمى، وهو ما يعطي الكون نظامه ومعناه". لكن عدم وجود الخير سيجعل من الشر غاية قصوى وهذا هو البسمار في نعش الانسانية.

الفلاسفة والحكماء حاولوا تغير الناس لكن لم يقدروا على التغير الكامل لأنهم لم ينزلوا الى مستواهم العقلي و اوضحوا الامور، كلهم كانوا مشغولين في الروح والنفس والوحقيقة الكاملة ونسوا ان السعادة الحقيقية للحكيم هو تعليم تلك الحكمة لتغير حياة البسطاء البائسين، السعادة الحقيقية هي عندما تساعد محتاجا الى مساعدة تعليم شخص يعاني في الحياة مشكلة، اما بقيت الامور التي تجلب السعادة الي هي مجرد مرتبة ثانية ليس لي اهتمام بها.

التعليم بين المثل العليا و المثل المنحطة

إذا كانت هناك غاية نبيلة لتأسيس النظام التعليمي من قبل المفكرين والحكماء، للارتقاء والوصول إلى المقامات العليا التي ينتهل منها الإنسان الفضولي الباحث عن مشارب الحقيقة، وتسليح البشر بسلاح العلم والفضيلة وتخريج الحكماء منهم، حقًا هذه الغاية هي أروع ما في هذه الحياة من غايات.

ومثلما هناك هذا النوع من الغايات الجميلة، هناك أيضًا غايات قبيحة بقبح من يطلبها. الآن، الغاية من التعليم في الكثير من البلدان الغربية ليست نفس الغايات السامية التي لدى الحكماء، حيث لو نظرت بتمعن إلى المدارس في أمريكا على سبيل المثال، ستجدهم يعلمون كل شيء فيها إلا العلم والمعرفة وفهم الذات الحقيقي. يعلمونهم الشذوذ والعنصرية تجاه كل بشري في هذه الحياة يخالف ما أتت به الأفكار المتوحشة مسمومة الغايات. سترى شخصًا يحب الحيوانات الأليفة وينفق المال من أجل رخائها، ولكنه يشمئز عندما يرى إنسانًا متعبًا. سترى العجب العجاب هناك، شخصًا بعمر الرابعة عشرة يحمل أسلحة ويدخل إلى المدرسة ويفتح النار على كل من يقف أمامه بسبب التنمر الذي تعرض له بأروقة تلك المدارس لأنه لم يكن حيوانًا أليفًا ينفقون عليه من المال والحب ما يحتاج، وهذا ما يحصل في المدارس كل عام.

هذا الخراب الذي يحصل في تلك المدارس، لماذا الحكومة لا تحاول إصلاحه؟ لأنهم أرادوا أن يكون هكذا. وهذا الخراب الذي تكلمت عنه بإيجاز شديد، حاولوا تصديره بكل الأشكال إلى كل العالم منذ نهايات القرن العشرين. لو ناقشنا المسلسلات والأفلام الأمريكية فقط التي صدرت لكل بقاع العالم، وما بها من رسائل وكيف غيرت من الحال الذي كان العالم يتجه نحوه، لن أستطيع مناقشته في هذه الرسالة. كان الشاب العربي عمومًا والعراقي خصوصًا هدفه عندما يدخل الجامعة تطوير نفسه ومحاولة فهم تخصصه ليبدع فيه إذا كانت لديه رغبة. لكن الآن كل هم الشباب عندما يدخلون الجامعة هو الارتباط وممارسة الأنشطة في البوح أو الخفاء. وهل تعلم لماذا هذا؟ سيأتيك شخص لا يفكر مطلقًا ويقول بسبب الكبت الديني والتفرقة الجنسية الحاصلة في المدارس الابتدائية والإعدادية. لكني وجدت من خلال المتابعة لكل الضخ السينمائي الذي نتابعه من الطفولة أنه كان يحث على مثل هذه الأشياء السخيفة التي تنزل من قيم الإنسان في النظام التعليمي وتحط من شأنه. لو تتبعت الأفلام والمسلسلات الأمريكية المدرسية ستجدها متكررة القصص: شاب انطوائي في حفلة التخرج يحاول أن يفقد عذريته، أو

شـباب وسـيمون يقضـون المدرسـة فـي الحفـلات الليليـة، يسـكرون دون السـن عنـدما يزيـف أحـدهم بطاقتـه التعريفيـة ويزنـون ويعيشـون هـذه الحيـاة البلطجيـة بكـل تفاصـيلها. لكـن الفـيلم أو المسلسـل يتكلم عن المدرسة، فإنه تعليمي بالطبع.

هـذه الغايـة التـي تضـعها الدولـة، مـاذا تسـتفيد منهـا؟ سـأخبرك مـاذا تسـتفيد، اسـتمع إلـيّ جيـدًا. عنـدما تعلـم شـعبًا علـم الغبـاء ويصـبحون أغبيـاء أشـداء، حتـى لا يحـاججوا الدولـة عنـدما تفعـل مـا هـو خـاطئ. دولـة مثـل أمريكـا تفعـل الكثيـر مـن الأخطـاء الفظيعـة، لكـن لـم تحصـل فيهـا أي ثـورة، فقـط مظـاهرات مؤقتـة لا فائـدة منهـا. هـذه هـي الغايـة التـي تترجاهـا الحكومـة مـن التعلـيم، حتـى يعلمـوا شـعبًا أن أمريكـا هـي العـالم، وأن الأبطـال الخـارقين عنـدما يحـاولون إنقـاذ العـالم، هـم دائمًـا ينقـذون أمريكـا، لأنهـم يعتقـدون أنهـم يمتلكـون العـالم. وأنـا لا أقصـد أمريكـا فقـط، بـل سـائر أنظمـة الحكـم فـي هـذا العـالم، وهـذا سـبب فشـل تطبيـق فكـرة التعلـيم السـامية لأن الأنظمـة الحاكمـة هـي المتضـررة مـن هذه العملية التعليمية.

فـإذاً، يـا عزيـزي، مـا يحصـل حولـك فـي الصـف إنمـا هـو غايـة، ووجـودك فيـه غايـة، وهـذه الغايات هي التي تشكل التعليم الذي أنت جزء منه.

الاخلاق

فلسفة كانط الأخلاقية تعتمد بشكل كبير على فكرة الأمر المطلق (Categorical Imperative) وتتمركز حول العقلانية والواجب الأخلاقي .كانط يؤمن بأن الأخلاق أمر فطري لا يمكن التملص منه، ولكن هذا الأمر الفطري لا يمكن أن يظهر بسبب الدين أو الاعتقاد، لذلك ترتكز نظريته الأخلاقية على هذين الأمرين: الأمر المطلق والواجب والنية. "اعمل فقط وفقًا للقاعدة التي يمكن أن تريد أن تصبح قانونًا عامًا". وهذا الأمر تصريح واضح من كانط على أن الأمر الأخلاقي يُعرف فقط من خلال شيوع تطبيقه. على سبيل المثال، الاحتشام بالنسبة للبشر أمر مطلق لأنه يعتبر قانونًا عامًا. وعلى هذا الأساس استندت نظريته؛ نعم، القانون العام الذي يجب أن يُطبَّق هو ستر العورة، لكن غطاء الرأس (الحجاب) لا يعتبر أمرًا مطلقًا بالنسبة لفلسفة كانط الأخلاقية لأنه لا يمكن أن يكون قانونًا عامًا.

كانط لم يترك نظريته الأخلاقية على هذه الحال دون محاولة إعطاء المزيد من الأسس التي تُعرّف الفعل الأخلاقي. "تصرف بحيث تعامل الإنسانية، سواء في شخصك أو في شخص آخر، دائمًا كغاية وليس فقط كوسيلة". يعتبر كانط أن احترام الإنسان هو الغاية الأخلاقية التي لا يجب دحضها بنزوات شخصية من قبل الأفراد. آه، لو تمكن الفلاسفة اللاحقون، الذين نظروا للأخلاق على أنها محاولة بائسة، مثل نيتشه الذي يعتبر الأخلاق أخلاق العبيد: "الأخلاق وُضعت من قبل الفقراء لإخافة الأغنياء". عندما أنظر لهذا القول، أقول في نفسي: كم هو مسكين نيتشه! أغفل أن الأخلاق ليست عدوه، بل هي من جعلت أخته تعتني به عندما فقد عقله في المصحة النفسية في آخر عمره. وليس فقط نيتشه الذي يعتبر أن الأخلاق وضعية، بل هناك بائس آخر هو ماركس، الذي رأى أن القيم والأخلاق السائدة في أي مجتمع هي تلك التي تخدم مصالح الطبقة الحاكمة. في كتاباته، وخاصة في "البيان الشيوعي" و"الأيديولوجيا الألمانية"، جادل بأن الأفكار التي تعتبر أخلاقية وصحيحة في المجتمع هي انعكاس لمصالح الطبقة المسيطرة، وهي الطبقة البرجوازية (الأغنياء أو أصحاب رأس المال). هذه الطبقة تضع الأخلاق والمعايير التي تساعدها في الحفاظ على سلطتها وسيطرتها على الطبقات الدنيا، بما في ذلك الطبقة العاملة (البروليتاريا). الأخلاق وُضعت من قبل الأغنياء. الأخلاق لم يضعها

الفقراء أو الأغنياء؛ الأخلاق أمر فطري. الكثير من الفلاسفة الكبار عاملوا الأخلاق كأنها مؤامرة حيكت في ليلة ظلماء حتى يتم السيطرة على جموع البشر.

يرى سبينوزا أن الله والطبيعة (أو الجوهر) هما شيء واحد (وحدة الجوهر)، وكل شيء في الكون يحدث وفقًا لقوانين الطبيعة. الإنسان، بوصفه جزءًا من هذه الطبيعة، يتصرف وفقًا لهذه القوانين. هذا يعني أن كل ما يحدث، بما في ذلك أفعال الإنسان، يحدث بالضرورة. أي أنه يرى أن الأخلاق أمر طبيعي للطبيعة وهي امتداد حتمي: "الله هو الجوهر الوحيد، وكل الأشياء هي مظاهر لجوهره". هو يعتقد أن الأخلاق هي أخلاق الطبيعة والله نفسه، أي أن الشخص الذي يسير على الأرض لا يمكن أن يطفو، لأنه محكوم بقوانين (أخلاق) الطبيعة، وأفعال البشر تكون محكومة بأخلاق الله نفسها التي تمتد من خلال الطبيعة (الجوهر) الذي نحن امتداد له. لكن سبينوزا يرى أن الأخلاق متمثلة في الخير والشر، وسلوك الإنسان للخير هو البعد الأخلاقي. "لا نقول إن شيئًا ما هو خير لأنه نسعى إليه، بل نسعى إليه لأنه خير". إن طلب الفرد للخير هو قوة من الفرد، والشر هو ما يضعف هذه القوة. هذه النظرة للأخلاق نظرة نسبية وليست مطلقة، عكس كانط الذي آمن أنها مطلقة. الأمر الذي جعل كانط يعتقد بالأمر المطلق (الأخلاق المطلقة) هو الثبات وليس التحليل؛ القانون الحياتي واضح: إذا لم يتنفس الإنسان الأوكسجين سيموت. ليس هناك حاجة إلى التحليل والتفكير في هذه الثوابت المطلقة، بينما سبينوزا كان يعتقد أن التفكير ورقي العقل واستخدامه هو الذي سيحدد أو يعرف الخير والشر. طبعًا هذا الأمر سيجعل من الأخلاق نسبية، إلا إذا كان المستوى العقلي ثابتًا لدى جميع البشر، وهذا مستحيل لتفاوت المستويات، ولهذا الأمر أصبحت الأخلاق نسبية بالنسبة إلى سبينوزا. لكن سبينوزا يعتقد في الحرية أمرًا آخر: "الحرية ليست القدرة على القيام بأي شيء نريده، بل هي العيش وفقًا لعقلنا وفهمنا". وعقلنا وفهمنا ليسا بالضرورة مرتبطين بمقياس الشر والخير. كيف سأعرف أن هذا الفعل سيزيد من قوتي الفردية وهو خير؟ مثلًا، إذا أردت أن أساعد فقيرًا، وهذا خير طبعًا، لكنني كنت أملك عشرة دولارات وعندما أعطيه من المال الذي أملكه ستضعف قوتي ولن تزداد. أي أن هذه العشرة دولارات التي أملكها قد نقصت ولم تزداد. هل هذا يعني أن مساعدة الفقير شر؟ يجب أن يكون هناك دراية أكبر للخير والشر، ولا أعتقد أنني سأتطرق لهذا الموضوع هنا.

الحاجة الملحة للمفكرين لطرح فكرة الأخلاق تأتي لبناء الفكر من قبل الفيلسوف بواسطة منظومة أخلاقية تناسب فكره الأخلاقي. وعند ضرب فكرة الأخلاق لدى أي فيلسوف، هذا

يعني أن المساحة خالية لضرب وهدم فكر الفيلسوف. لذلك من المهم بحث الفكر الأخلاقي لدى أي فيلسوف، ربما حتى لمعرفة وكشف الأفكار المنسوبة إليه، هل هي حقًا له أم لا. الأخلاق هي الحمض النووي لأفكار الفلاسفة. اختلف سبينوزا عن كانط في الأخلاق، حيث اعتبرها الأخير مطلقة، والآخر قال إنها نسبية. وحتما يجب أن تكون أحد الاحتمالين، فهل هذا يعني أنه ليست هناك حقيقة تطرح من قبل الفيلسوف؟ مجرد أمور ظنية؟ حتما لا، الأمر وبكل بساطة هو أن المنظومة الفكرية للاثنين كانت مختلفة، فاختلف الرأي. الفيلسوف يبني أخلاقه تبعًا لأفكاره.

التعليم الأخلاقي

لم يقدم الفلاسفة الكثير في الأخلاق بشكل كامل. كل فيلسوف له أمر منطقي وعشرة بعيدة عن المنطق، أما إذا كان فكرك في نفس الفكر الذي هو فيه فسيكون العكس. لم يضع الفلاسفة أفكارًا عملية تعليمية للأخلاق بشكل صحيح، والنظام التعليمي يعجز عن تعليم الأخلاق لأن الحكماء لم يحسنوا وضع الأخلاق في إطار التعليم. يعلمون الطلاب أن عدم الغش في الامتحانات أمر أخلاقي، ولكنهم يغشون. هل ذلك بسبب أن الأخلاق ليس درسهم المفضل أم أنها غير واضحة لديهم؟ حالهم كحال الحكماء الذين أعطوا آراءهم في الأخلاق ولكن من دون جدوى، فإنها لا تفلح.

نعم، الأخلاق أمر فطري يولد مع ولادة الإنسان، لكن القيم الأخلاقية تختلف عندما يبدأ الوعي؛ لأنها عبارة عن معلومات غير مفهومة لدى الإنسان، أو بتعبير أدق، هي ملكات مخفية في النفس الإنسانية. وحتى يتم إظهارها نحتاج إلى أسباب تؤدي إلى ظهورها. من خلال إيضاح العمل الصالح وفعله، سيتم بعد ذلك تهيئة الأسباب لخروج تلك الملكات من العمق البشري وتبدأ النفس بالإيمان بها وتطبيقها. وبالطبع، هناك أعمال غير صالحة تقتل تلك الملكات داخل الإنسان.

هذه الملكات، التي تكون مدفونة في قعر النفس، لا تخرج بصورة كاملة إلى الواقع حتى يتم تطبيقها، وهذا أمر بديهي، لكون الأخلاق تغطي جوانب الحياة كافة، وليس هناك إنسان يتعرض لجميع المواقف الأخلاقية في نفس اللحظة. وخروج هذه الملكات ليس مرهونًا باللحظة، بل هو رهن المحفز لظهورها. وأهم المحفزات التي إما أن تخرجها أو تستبدلها بملكة جديدة خارجية غير سوية هي الغاية، السبب في ذلك التحفيز. الغاية هي التي دفعت الشخص

إلــى إضــافة ملكــة أخلاقيــة جديــدة خارجيــة، وهــي السـرقة، وهــي نفسـها التــي حفـزت ملكــة فطريــة للمقاومة، مثل عزة النفس والذهاب للعمل بشق الأنفس لكسب لقمة العيش.

الخرافة

ما هي الخرافة؟

لا يوجد في هذا العالم أشد خطورة على حياة الناس من الخرافة. للخرافة القدرة على التسلل إلى عقول الناس غير المحمية بقوة العقل والمنطق، وبث السموم والخدع في تلك العقول السفيهة المثيرة للشفقة. وكلنا قد نظرنا إلى التاريخ وعرفنا من الأمور البشعة التي حدثت، وكان خلفها شيطان الخرافة. الخرافة هي تلك الخبائث التي تجعل من الأفكار السليمة الجميلة وحشًا كاسرًا يلتهم كل ما يقف أمامه، والحاضر هو مجرد امتداد لتلك الفكرة. كم أتمنى لو أكتب هذه العبارة "حان الوقت لإيقاف الخرافة"، لكن هذه العبارة وفكرتها مستحيلة، لأن البشر لن يتعلموا من الماضي ولن يصلحوا أخطاءه في الحاضر.

الأديان أكثر تأثرًا بالخرافات من دون بقية الأفكار، لأن أساس وجودها قائم على الإيمان القلبي وليس الإيمان العقلي. يقول جورج سانتايانا عبارة غاية في الروعة والدقة: "الخرافة هي الدين الذي فقد وعيه". اختيار الفرد للحقيقة بدون عقله خَرَفٌ، ولذلك يجب عليَّ أولًا أن أبين ما هو الإيمان القلبي، الذي هو عبارة عن إيمان غير مشروط بالدليل والبرهان. هو مجرد تسليم للفكرة المريحة؛ يجد الغربي الآن الراحة عندما يعتنق المسيحية لأنها تناسب البيئة التي هو فيها. الإسلام هو أنسب الأديان للأراضي القاحلة الصحراوية، التي فيها بعض العادات التي تنشأ من تلك البيئة تكون مناسبة مع الإسلام. على سبيل المثال، العرب لم يعترضوا على فكرة وجود الحجاب في الأماكن التي تتسم بدرجات الحرارة العالية والأراضي الجرداء الممتدة بالكثبان أحيانًا. فكان الحجاب موجودًا قبل أن يوجد الإسلام للحماية من الحرارة والأتربة بشكل بسيط، وعندما أتى الإسلام أيد وأعطى بُعدًا آخر لهذه العادة وجعلها مهمة أخلاقيًا. أما التنوع الديني ستجده فقط في الأماكن التي تحتوي تعددًا بيئيًا مختلفًا. المدن الأندلسية سابقًا مثل إشبيلية وقرطبة وغرناطة ليست فيها أغلبية إسلامية، لأن الجذور التاريخية والبيئة لهذه المنطقة لا تتيح للإسلام فكرة الإيمان القلبي فقط، بل أيضًا الإيمان العقلي.

الإيمان بالخرافة

الإيمان العقلي هو إيمان الأقلية من البشر، لأن البشر معتادون على اعتبار البحث والتدقيق في الإيمان من الأمور الاعتبارية، فقط إذا كان هناك فراغ لهذا الأمر. المشكلة مع الإيمان القلبي أنه نقي وجميل، ويكون هذا الجمال والنقاء جالبًا للسعادة فقط إذا كان متبوعًا بإيمان عقلي. أي قضية تكون مقبولة من قبل القلب دون أن يكون للعقل رأي فيها هي قضية فاشلة، حتى لو كانت تلك القضية صحيحة، لأنها ستكون قضية مليئة بالثغرات. القلب هو مصدر السعادة والشقاء، وعدم مراعاة هذا الجزء المفصلي لدى

الإنسان هو انحطاط إلى منزلة الحيوان وأحيانًا إلى منزلة أسفل وأحط من المنزلة الحيوانية. يقوم الإنسان ويصبح مخلوقًا مثاليًا من خلال تقويم ما يدخل للقلب وما يخرج منه، وباب الحراسة لذلك المكان المقدس هو العقل.

عندما يؤمن المسيحي الذي يؤمن إيمانًا قلبيًا دونما الإيمان العقلي، سيعتبر المسيح إلهًا، بينما الحكيم الذي يؤمن عقليًا سيعتبر المسيح من أكثر حكماء البشر حكمة عبر التاريخ، الذين نقلوا إمكانية أن يكون البشر مثاليين من خلال رسالة أخلاقية محكمة. المسيحي لن يستفيد من إيمانه، أما الحكيم سيزداد حكمة وسعادة لأنه سيفهم الحقيقة من خلال عقله، ثم يؤمن بها كفكرة نقية مشذبة داخل قلبه. لذلك، الحكيم سيستفيد في حياته من فكرة المسيح، أما المسيحي حتمًا لن يستفيد من فكرة غير مشذبة في مستقر قلبه الذي سيصدر أوامر خاطئة لنفسه لتطبيقها في أرض الواقع.

بداية كل خرافة إيمان بها وتصديقها، وعندها سيكون للخرافة باب تنسل من خلاله للواقع، جاعلة من وهمها حقيقة واقعة مؤثرة. وأكثر ما يرعب في الخرافة أنها قد تكون موجودة في الأماكن العلمية، وقد يكون هناك علماء مؤمنون بها يعملون ليلًا ونهارًا من أجل تصدير هذه الخرافة إلى المجتمع باعتبارها حقيقة علمية. وكم من الخرافات التي صُدِّرت للناس على أنها حقائق لا ريب فيها، وكلها ريبة، لكن تعمى الأبصار عندما يؤمن القلب بها.

الخرافة تكون دائمًا مرتبطة بالخوف، وبالخصوص الخرافات الدينية التي تهدف للسيطرة على الحشود وتسييرها. يوضح مكيافيلي هذا الأمر بوضوح بقوله: "كلما كان الشعب أكثر خضوعًا للخرافات، كان أكثر سهولة للحكام أن يستغلوا ذلك." عندما تُبث خرافة لدى الشعب، ستسيطر على الشعب. لكن لم يشرح مكيافيلي أي شعب؟ وما نوع الخرافة؟ إذا كان الشعب دينيًا فستكون الخرافات الدينية هي الحل الأمثل لبث الخوف والسيطرة عليهم، لكن إذا كان الشعب لا يعتبر الدين هو مصدر الحياة، هنا تكون الخرافة إما علمية أو نفسية. يقول راسل: "الخرافة تمثل الهروب من التفكير النقدي، وهي ملجأ للخوف والجهل". وأغلب المستخدمين للخرافة هم المؤسسة الدينية والدولة، لأن النقد مشكلة لا حل لها. وهنا يأتي دور ماركس ليصرخ في وجه الدولة: "الخرافة هي الدين للفكر المستعبد". الخوف هو المسيطر الدائم على أي شعب، والحل الوحيد هو أن يكون الشعب أكثر نقدًا لأي خرافة يتم طرحها من جهة هاربة من النقد. ولن يصبح الشعب في هذه المرحلة إلا إذا تطورت المؤسسات العلمية التعليمية، التي ستجعل الخرافة في مقدمة مدفع النقد. بيكون له رأي بهذا الخصوص: "الخرافة تقود العقل إلى قبول ما هو غير معقول، وتجعله يستبدل الفضيلة بالخوف". لكن إذا تمكنا من جعل العقل يرفض كل ما هو غير معقول

من خلال رفع مستواه إلى الأعلى، وجعله يصحح الأخطاء التي تنهش المجتمع، فإن العقل العام لهذا المجتمع سيرتفع إلى مستوى يجعل كل ما هو غير حقيقي معرضًا للتمزيق والحرق في المجتمع الراقي.

الخرافة في التعليم

من أجل رفع العقل العام للمجتمع وجعله في المستوى الذي يجعل من الخرافة لا وجود لها في الواقع، يجب إخلاء النظام التعليمي من وجود الخرافات، وجعل الحقائق العلمية غير المغلوطة والمتينة في متناول الأيدي بالنسبة لتلك العقول المتفتحة. الخرافة في التعليم تشير إلى الأفكار والمعتقدات غير العلمية أو غير المدعومة بالأدلة، التي تتسرب إلى المنظومة التعليمية من خلال الأساليب التقليدية لتجميع المعلومات وعرضها في الدروس وإثارتها بين الطلاب في داخل المدرسة وخارجها. هذه الخرافات قد تكون ناتجة عن سوء فهم للعلوم، أو عن تقاليد ثقافية راسخة، أو عن نقص في المعرفة، وغالبًا ما تعرقل تقدم التعلم والفهم العلمي الصحيح. المشكلة في جلب تلك الخرافات إلى النظام التعليمي ليست غالبًا تقع على عاتق المعلمين، الذين ليس لهم منهج علمي متماسك في تلقي المعلومات الجديدة. لذلك نحتاج إلى آلية تخلصنا من معضلة تحديد قيمة المعلومات من قبل الجالبين لها، لأنهم ليسوا بالضرورة دائمًا على حق.

تأثير الخرافات على التعليم:

إعاقة التفكير النقدي: عندما تُقدَّم الخرافات كحقائق أو تتسرب إلى التعليم، فإنها تمنع الطلاب من تطوير مهارات التفكير النقدي وتحليل المعلومات بشكل علمي. هذا يعني أنها ستترك الطلاب للتسليم بالأمور القادمة لهم، فقط إذا كانت مرتبة على شكل حقائق مثل التي يتعرضون لها في النظام التعليمي.

نقص الفهم العلمي: الاعتماد على الخرافات بدلاً من الأدلة يؤدي إلى نقص الفهم العلمي الصحيح، مما يجعل من الصعب على الطلاب مواجهة التحديات العلمية الحديثة، لأنها ستكون بابًا معارضًا للخرافة التي يؤمنون بها. على سبيل المثال، صدمة الطلاب عندما يتعرضون لهذه الحقائق، الطلاب قد يتعلمون مفاهيم خاطئة في الفيزياء، مثل أن "المقذوفات تتحرك بشكل خطي فقط"، أو أن "الأجسام الثقيلة تسقط أسرع من الأجسام الخفيفة"، وهي أفكار تم دحضها منذ قرون، لكنها تظل عالقة في بعض المناهج الدراسية أو المفاهيم الشائعة. فيظن الطلاب أن هذا هو الصواب بسبب ترسيخ الخطأ أولًا باعتباره الأساس وعدم دحضه مباشرة لتعليمهم بوجود النقد.

التأثير على القرارات التعليمية: بعض الخرافات يمكن أن تؤثر على كيفية تصميم المناهج أو طرق التدريس، مما يؤدي إلى استخدام أساليب غير فعالة أو غير مبنية على الأدلة. وهذا يحدث في كل بقاع العالم بدون استثناء؛ نحن ندرس نظريات غير صحيحة بسبب دعم الخرافات لها.

كيفية مواجهة الخرافات في التعليم:

التثقيف العلمي: يجب على المعلمين تعزيز المعرفة العلمية الصحيحة، والتشجيع على التفكير النقدي والتحقق من الحقائق من خلال النقد العلمي المبني على الضوابط العلمية الصحيحة داخل الدروس.

تصحيح المفاهيم الخاطئة: عند ظهور خرافات في الفصول الدراسية، ينبغي للحكماء والمعلمين المتخصصين في صيانة النظام التعليمي معالجة هذه الأفكار وتصحيحها بالاستناد إلى الأدلة العلمية.

تعليم المنهج العلمي: تشجيع الطلاب على فهم كيفية عمل العلم، وكيفية جمع الأدلة وتقييم النظريات، يمكن أن يساعد في تقليل تأثير الخرافات.

الخروج من التعاسة التي أطاحت بالنظام الموجود ليس بذات السهولة التي يمكن الحديث عنها، لأنها تتطلب جهدًا وعملًا مستمرًا، وهذا العمل ليس بالضرورة يُطبق بنفس الأفكار الموضوعة لأن الحق يصعب فهمه.

التعليم الذاتي

يشار غالبا للتعليم الذتي على انه قدرة الفرد على تعليم نفسه بعيدا عن المدرسة او الجامعة اي دون الاعتماد على الوسائل التعليمية التقليدية ، وغالبا ما يرتحل الفرد في هذه الرحلة لأسباب كثيرة لكن هنلك سببان رئيسيا هما عجز الوسائل التعليمية التقليدية على تلبية طموح الفرد او المسألة مادية كون الفرد في التعليم الذاتي لا يحتاج الى الكثير من المال، كل ما يحتاجه الفرد هو فقط الكتب، مقالات، الدروس عبر الانترنيت.

لكن هنلك امر يجب ان اجعله واضحا هذا التعريف للتعليم الذاتي غير كامل، لأن الانسان كان ولا زال يتعلم بذاته هو طالب في المدرسة المدرسة تعلمه فقط 20% اما ال80% الباقية هو يتعلمها بذاته. كنت ادرس اللغة الانكليزية في المدرسة قرابة العشر سنوات ولم اتعلم الانكليزية من المدرسة وهو من اكثر الدروس تكرارا واعادة ةاللغة الانكليزية من اسهل اللغات تعلما لكن لم اتعلم الانكليزية من المدرسة مطلقا وكذلك بالنسبة الى زملائي، تعلمت اللغة الانكليزية لأني تعرفت على بعض الاصحاب عبر مواقع التواصل الاجتماعي من الولايات المتحدة الامريكية لذلك اضطررت الى تعلم اللغة في تلك الفترة حتى نتكلم من دون مشاكل اللغة. وكذلك بالنسبة لبقية العلوم نعم هي تدرس في المدرسة لكن يجب على الطالب ان يتعلم بنفسه حتى ينجح وكل شخص لم يتعلم بذاته في المدرسة واعتمد على شرح المدرس سيكون قد رسب. يعتقد جان جاك روسو ان التعليم يمر بثلاث مراحل الاولى التعليم الذي نحصل عليه من الطبيعة، التعليم الثاني هو الذي نحصل عليه من الناس، التعليم الثالث هو الذي نحصل عليه من الاشياء. التعليم الذاتي لدى روسو مرهون بتفاعل الفرد مع المحيط من خلال الثلاث وسائل الذي يعتبرها اساسا في التعليم الذاتي وشمل في التعليم الثاني التعليم من خلال الناس على كونه تعليم ذاتي ايضا. وليبس فقط روسو ايضا يعتقد بذاتية الفرد مع المحيط حيث اتى جان لوك وطرح هذه الفكرة في نقاش كامل في كتابه (بعض الافكار المتعلقة بالتعليم) حيث قال "العقل هو صفحة بيضاء، لا يوجد شيء في العقل لم يأت من تجربة" حتى يملاء الانسان تلك الصفحات البيضاء كان لابد منه ان يملائها بما يحيطها.

باختصار ان التعليم الذاتي كان موجود في المدارس طوال الوقت لأن الانسان كان يعتبر المدرسة لا شعوريا جزء من تعليمه الذاتي. جون ديون لديه عبارة جدا لطيفة ومعبرة في كتابه(الديمقراطية والتعليم) حيث يقول "التعليم ليس استعدادا للحياة، التعليم هو الحياة نفسها." لكن لم يعترف احد بهذا الامر حتى لا يقال ان الفرد لا يتعلم بدون المدرسة، لذلك سيكون المجتمع مجبر على التعلم في المدارس حتى يهربوا من وحش الجهل لكن لو نظرت للمجتمع قليلا ستجد ان الجهل قد نهش اركان المجتمع. لأن المدرسة لم

تكن هي التعليم بشكل كامل بل كانت مجرد مرحلة تزيد من معرفة الفرد او لا تزيد، والمشكلة الكبرى احيانا قد تقتل التعليم لدى الفرد بسبب عدم تعليم ذلك الفرد بصورة صحيحة لأن الفرد يتعلم بذاته. كانط في مقالته(ما هو التنوير) يصرح ان الفرد عندما يتعلم من المحيط او حتى من المدرسة هو فقط لأخراج نفسه من الظلام الى النور "التنوير هو خروج الانسان من قصره الذاتي، الذي يتسبب فيه عدم قدرته على استخدام فهمه الخاص بدون توجيه من الاخرين." من يعلم ربما الانسان يجد نفسه يتعلم حتى من الشياطين التي تنغص عليه راحته من اجل تنوير تلك الورقة البيضاء بنور احمر او ابيض.

اللامدرسية

بعد ان فهمنا ماهو التعليم الذاتي وكيف يساء فهمه من قبل العقلاء خاصة، حتى ذهب بعضهم الى توسيع هذا الخط الفاصل بين التعليم الذاتي والتعليم الاكاديمي وصرحوا ان التعليم الذاتي هو الحقيقة التي اظهرت زيف التعليم الاكاديمي. واخرجوا لنا واحدة من اكثر الحركات قوة في اواخر القرن المنصرم والقرن الحالي. الافكار التي تجلب التمرد على الظروف السيئة ستنمو وتقوى وشيئا فشيئا ستثبت جذورها في عمق تلك الجذور لتنسفها طاقتها التي كانت تنمو منها. " المدرسة هي وكالة الدعاية التي تجعلك تعتقد أنك بحاجة إلى المجتمع كما هو" وقول ايليتش هذا يمثل الرأي العام عن سوء النظام التعليمي وهو حقيقي. سيمور بابريت يعتقد ان "فضيحة التعليم هي أنه في كل مرة تعلم فيها شيئًا، تحرم الطفل من متعة وفائدة الاكتشاف". وكانه قد نسي انه مجرد طفل، كيف سيفهم الامور المعقدة اذا ما لم يتم شرحها له بشكل متدرج، نحن في الفيزياء درسنا بعض الامور في ميكانيكا الكم يعجز الدكاترى عن فهمها بشكل اعمق وعندما نحاول بانفسنا ايضا نعجز، بالله عليك اخبرني كيف سأشر مثل هذه الامور للاشخاص الذين لم يتخصصوا في الفيزياء؟

النظرية اللامدرسية هي حركة فكرية وتعليمية تنتقد الأساليب التقليدية في التعليم الرسمي(التعليم الاكاديمي)، مثل التعليم المدرسي، وتدعو إلى اعتماد نهج بديل يعتمد على الحرية في التعلم والابتعاد عن القيود المنهجية والبيروقراطية التي هي السبب الذي دفع المفكرين الى الخروج بهذه النظرية، التعليم اذا كان يدار من قبل السلطات سيكون وفق للافكار البيروقراطية والتي هي ليست بالظرورة صحيحة. من أبرز أفكار هذه النظرية أن التعليم لا يجب أن يتم في المدارس بالضرورة، بل يمكن أن يحدث في أي مكان ومن خلال أي تجربة حياتية. هم يعتبرون الانسان له قابلية فطرية على التعلم حسب الظروف

المحيطة، وهنا مشكلة هم اغفلوا عنها ام تجنبوا ان يتطرقوا لها حتى لا يفتح باب يعصف بالداخل الذي وضعوه. اذا كان الانسان يتعلم في بيئة معينة هذا يعني انه سيكون مرهون بتلك البيئة، يعني اذا كانت البيئة جيدة سيحصل على تعليم جيد، اما اذا كانت البيئة سيئة حتما سيحصل على تعليم سيء، هذا حسب ما يعتقدونه. كيف سيوفرون بيئة جيدة تظمن ان الجميع سيحصل على تعليم جيد؟ هذا مستحيل. نحن لا نستطيع توفير بيئة مادية مناسبة لنا فكيف سيوفرون بيئة مادية ونفسية لجميع البشر للتعلم؟

المبدأ الرئيسي لهذه النظرية هو أن الأطفال لديهم القدرة الطبيعية على التعلم إذا تم منحهم الحرية والبيئة المناسبة للتعلم الذاتي. بدلاً من تلقي التعليم من معلمين في صفوف مدرسية تقليدية، يعتمد التعليم في النظرية اللامدرسية على الفطرة الفضولية للأطفال وتوجيههم إلى اكتشاف المعرفة بأنفسهم من خلال التجربة والتفاعل مع العالم من حولهم. وهذا المبدأ ليس فقط معيوب بل هو عيب في ذته، الاطفال لديهم القدرة الطبيعة على التعلم هذا صحيح لكن اي تعلم؟ واي قدرة؟ يجب الصراخ في وجوههم ان التعليم الطبيعي لدى الاطفال مقتصر على الحاسة فقط. ليس هنالك فيلسوف اتى وغير العالم من خلال التعلم الطبيعي الذي حركه ودفعه في الطفولة الى تفسير العالم المحيط، كل الحكماء والفلاسفة اتوا من معلمين حقيقين مرشدين، لو لم يرشدني احد الى هذا الذي انا عليه الان من حب للحكمة وتعليمها احتما لأصبحت شيء حسيا مثل بقيت الناس الذين رفضوا ان يتعلموا وكتفوا بما لديهم من معرفة حسية هي غريزية فقط.

يعتقد بعض ابرز المفكرين لهذه الفكرة الذي هو ايليتش، ان المشكلة لا يمكننا ان نجع التعليم الشامل ممكننا في النظام المرسي الحالي حتى على الرغم من وجود تطور في البنية التحتية للمدارس بسبب عجز المدارس عن تقديم هذا النوع من التعليم "التعليم الشامل من خلال الدراسة المدرسية ليس ممكنًا. ولن يكون ممكنًا حتى إذا تم تجربته من خلال مؤسسات بديلة مبنية على أسلوب المدارس الحالية . لا المواقف الجديدة للمعلمين تجاه طلابهم، ولا انتشار الأجهزة التعليمية أو البرمجيات (في الفصل أو في المنزل)، ولا محاولة توسيع مسؤولية المعلم حتى تلتهم حياة طلابه بأكملها ستوفر التعليم الشامل". المشكلة هنا ليست الفكرة بل المشكلة ايليتش، الذي يريد تقديم تعليم شامل من الاساس وهذا ضرب من الخيال، لأنه بعيد عن الحقيقة البشرية، نعم يمكننا تطبيق التعليم الشامل لكن للرجال الالين الذين نصنعهم بنفس المستوى. البشر مختلفون ولا يمكننا ان ننكر هذا والشمول ليس حقيقة لأنه سيظلم البعض على حساب البعض. ربما ايليتش لم ينظر للبشر على انهم ليسوا جميعا مثله.

يعتقد جون هولت ان مشكلة التعليم الحالي مرتبطة بالنظام المقيم للطلبة "نحن ندمر حب التعلم لدى الأطفال، وهو حب قوي عندما يكونون صغارًا، من خلال تشجيعهم وإجبارهم على العمل للحصول على

مكافآت تافهة واحتقارية – نجوم ذهبية، أو أوراق تحمل علامة 100 وتعلق على الجدران، أو الدرجات Aفي بطاقات التقارير، أو قوائم الشرف". في بداية الامر الاطفال يتعلمون ما يشبع حواسهم وغلب الاشياء التي تملاء هذه الحواس هي الالعاب واذا اراد طفال ان يتعلم لعب كرة القدم سيفرغ ةقته لتعلمها والاستمتاع بها، لحظة هل سيكون عالما؟ حتما لا لماذا لم يصبح؟ لأنه ليس لديه مرشد يوجهه، ويجب ان اضيف لك بكل تشائم انه سيفشل في ان يصبح لاعبا لأن عليه ان يناس البقية ماذا يعني ذلك يا جون؟ هذا يعني اينما ذهب الانسان يجب ان يتم تقيمه العلامة التي يرفضها جون هي في كل مكان. ثم يأتي باترك فارينغا وعيناه تملاءها الدموع متأثرا بجون هولت ويصرح "يؤمن جون هولت بأن الأطفال يولدون برغبة فطرية لفهم العالم، وأن هذا الفضول الطبيعي يجب أن يكون الدافع لتعليمهم. كان يجادل بأن المدارس تقمع هذا الفضول من خلال المناهج المفروضة والتقييم المستمر". لا اقول ان المدارس تنمي الفضول لكن جعل الفضول وحيدا في داخل الفرد لن يجعل من هذا الفضول شيء.

ان الاسس التي تستند عليها هذه النظرية هي:

1- التعلم الذاتي والتعلم الموجه ذاتيًا

- **التعلم الطبيعي** :الأطفال يولدون بفضول طبيعي ورغبة في استكشاف العالم من حولهم. اللامدرسية تعزز هذه الفطرة وتترك الأطفال ليكتشفوا ما يهمهم من خلال استكشافاتهم وتجاربهم اليومية. لكن هذا الاساس فيه الكثر من الضعف للاسباب التي اردفتها سابقا، الاعتماد على التعليم الحسي بعيدا عن الارشاد سيكون عبارة عن فوضى غير مستقرة.
- **التعلم الموجه ذاتيًا** :بدلاً من أن يكون المعلم أو النظام هو الذي يقرر ما يجب أن يتعلمه الطفل، يتم منح الطفل الحرية في اختيار ما يريد تعلمه، بناءً على اهتماماته الشخصية وفضوله. اعطاء الحرية الكاملة للطفل هو تصير غيرصحيح و مسؤول، اذا اعطيت الحرية للطفل في اللعب على سبيل المثال كيف يمكنك ان تثبت انه لن يؤذي نفسه، الطفل اراد اللعب بالسكين هل تتركه يستكشف ام تاخذ السكين من يديه؟

2-التعلم من خلال الحياة اليومية

- **التعلم في كل مكان** :تؤكد اللامدرسية أن التعلم يمكن أن يحدث في أي مكان وليس محصورًا بالمدرسة أو الصفوف الدراسية. الأنشطة اليومية مثل اللعب، القراءة، التفاعل مع الآخرين، وحتى التسوق أو الطهي، تعتبر فرصًا تعليمية. هذا صحيح يمكنني القول ان الانسان يمكنه ان

يتعلم من خلال هذه الفعاليات، لكن هل يمكنه القراءة دون ان يعلمه احد؟ هل سيتفاعل مع الاخرين بالشكل الصحيح دونما هنلك شخص يرشده للتفاعل الصحيح؟ وحتى التسوق و الطهي هل سيكون بخير وحده لتعلم كل هذه الامور؟ اذا وضعت شخصا على القمر من دون ان يعلمه شخص ماذا يفعل على القمر وكيف يتجنب المشاكل التي سيتعرض لها، هل سيكون على ما يرام وحده على القمر؟

- **دمج التعلم مع الحياة** :لا يوجد تقسيم صارم بين "وقت التعلم" و"وقت اللعب"؛ فكل لحظة في الحياة اليومية هي فرصة للتعلم واكتشاف الجديد. لو بدأت حياتي بنفس هذا النظام لأصبحت اليوم في كبري، غير ناضج، غير متعلم، فوضوي، لا ادري، يجب ان يوجد تقسيم صارم بين اللعب والتعلم انا بحاجة لتعلم مهنة اقلها ليس بالشرط ان يكون التعلم مدرسي، لو لم يكن هنلك فصل بين التعلم واللعب لأنفقت كل حياتي لعبا ليس هنلك افضل من اللعب لدى الطفل.

3-الحرية والاستقلالية في التعلم

- **حرية الاختيار** :اللامدرسية تعتمد على إيمان بأن الطفل يجب أن يكون حرًا في اختيار ماذا ومتى وكيف يتعلم. هذا يعني عدم وجود مناهج ثابتة أو امتحانات قياسية، بل ترك الحرية للطفل ليقرر ما يناسبه. كأني عندما كنت طفلا افهم الحياة وخضت فيها تجارب جعلتني حكيما حتى اقرر ما اريد لنفسي وللحياة، الطفولة فترة تجربة ليست فترة استقرار وقرار، لو كنت اقرر ما اكون عندما كنت طفلا حتما لغرقت لأني كنت اريد ان اكون لاعبا و اللعب الى فريقي المفضل ميلان وجلب لهم دوري الابطال. هذا انا عندما كنت طفل لو كان القرار في الطفولة وحتى سن المراهقة متروك لي لاصبحت في ضياع، لأني عندما بلغت سن السابعة عشر عندها ادركت ما اريد فعله في هذه السنين التي سأعيشها في هذه الحياة وهو امر ما كان ليحصل لو لم افكر فيه بعد التجارب التي خضتها والارشاد الذي ادلني الطريق، الحقائق صعبة المنال حتى بالنسبة للكبار و الاطفال يحتاجون الى الكثير لرؤية تلك الحقائق، التجارب في فترة الطفولة والمراهقة هي فقط لمعرفة الحقائق والاوهام الظاهرة.

- **الاستقلالية** :تشجع اللامدرسية الأطفال على تحمل المسؤولية عن تعلمهم واتخاذ قراراتهم التعليمية بناءً على رغباتهم وأهدافهم الشخصية. هذا المبدأ جميل في جانب وقبيح في الجانب الاخر، جميل في كون التعليم يجب ان يكون بعيد عن الايديولجيا الفكرية الحاكمة، ولكن التعليم باستقلال عن المجتمع في المجتمع ضمن المجتمع هراء.

4-رفض الضغط الأكاديمي والتقييمات التقليدية

- **نقد الامتحانات والتقييمات** :في فلسفة اللامدرسية، الامتحانات والاختبارات تُعتبر عائقًا أمام التعلم الحقيقي. تؤدي هذه التقييمات إلى تعليم يركز على النجاح في الاختبارات بدلًا من التعلم من أجل المعرفة. الى الان لا افهم كيف توصلوا الى هذه الفكر، جون هولت كان معلما الم يعتقد انه من الظلم ان لا يكون هنلك تقدير للشخص الذي يبذل مجهود اكثر في تطوير نفسه وذاته، وهو الشخص الانسب في التأثير المباشر في المجتمع بل مساعد في تطور و نمو المجتمع؟

- **عدم التقيد بالدرجات والمناهج** :اللامدرسية ترفض فكرة أن التعليم يجب أن يكون موجهًا نحو تحقيق درجات معينة أو التزام بمنهج صارم. بدلاً من ذلك، تعتبر أن التعليم عملية مستمرة لا تحتاج إلى قياس دوري بالاختبارات أو الدرجات. هنا اختلف واتفق الدرجات ليست هي حقيقة الابداع لكن هي مقياس، اذا اختفى هذا المقياس كيف سنحدد المبدع اين؟

5-الثقة بقدرة الأطفال على التعلم

- **الاحترام والثقة** :اللامدرسية تقوم على أساس أن الأطفال أذكياء وقادرون على اتخاذ القرارات المتعلقة بتعليمهم. هناك احترام لفضولهم الطبيعي وقدرتهم على اكتشاف الأمور التي تثير اهتمامهم. هذا غير واقعي الاطفال غير قادرون على اتخاذ القرارات المتعلقة بتعليمهم، والاحترام لفضولهم ليس امرا يجب مدحه كل مرة، عندما كنت اتابع بعض الوثائقيات عن القتلة المتسلسلين كان بعضهم في طفولته فضوليا بالحيوانات الميته بعضهم كان يحتفظ بهم لتشريحهم تحنيطهم وعنما كبروا تطور فضولهم نحو البشر وعندها تبدأ القصص.

- **دور الكبار كمرشدين وليس كمعلمين** :في اللامدرسية، دور الوالدين أو المعلمين ليس فرض التعليم على الأطفال، بل تقديم الدعم والمساعدة عندما يطلبها الطفل، وتوفير بيئة غنية تشجع التعلم والاكتشاف. الدعم والمساعدة ليست ارشاد، هذا من اشد الاخطاء حماقة في هذه النظرية.

6-التعلم التعاوني والاجتماعي

- **التعلم من المجتمع** :اللامدرسية تعتمد على أن التعلم يمكن أن يتم من خلال التفاعل مع المجتمع والأفراد المختلفين. الأقران، العائلة، والأصدقاء جميعهم مصادر قيمة للمعرفة والتعلم. وهل نحن لا نتعلم منهم لأننا في المدرسة؟
- **التعلم التعاوني** :الأطفال في هذا النظام يتعلمون بشكل طبيعي من خلال التعاون مع الآخرين، وليس من خلال المنافسة في بيئة مدرسية تنافسية. المنافسة هي اهم عامل في الابداع والابتكار وعدم وجوجود المنافسة هو فشل بحد ذاته.

7-رفض الهيكلية المؤسسية للتعليم

- **نقد المدارس التقليدية** :اللامدرسية تعتقد أن المدارس التقليدية تحد من قدرات الأطفال وتقلل من حريتهم في التعلم. النظام المدرسي يفرض جداول صارمة، ومناهج ثابتة، وقواعد يجب الالتزام بها، وهذا يتعارض مع فكرة أن التعليم يجب أن يكون مرنًا وشخصيًا. انتقدت في هذه الرسالة التعليم التقليدي بكل ما لدي ولكن نقدي كان لبنا التعليم المدرسي لا لغلقه وجعل البشر تنتشر لتفعل ما تريد، التعليم الاكاديمي ليس مثاليا ولن يكون كذلك لكن التطر السريع الحاصل لدى الجنس البشري بفضل وجود نظام للتعليم حتى وان لم يكن مثاليا.
- **التعلم المفتوح والمستمر** :لا يوجد في اللامدرسية نهاية لعملية التعلم، حيث يعتبر التعلم عملية مستمرة لا تتوقف بعد التخرج أو الانتهاء من مرحلة تعليمية معينة. ومن قال الانسان يتوقف عن التعلم بعد التخرج ها انا ذا تخرجت وما زلت اتعلم في كل ثانية حتى التي اقضيها في النوم.

8-التعلم المتكامل متعدد التخصصات

- **التعلم المترابط** :اللامدرسية تشجع على التعلم بشكل مترابط، حيث لا يوجد فصل بين المواد الدراسية. يمكن للأطفال التعلم عن العلوم، الفن، الرياضيات، واللغة في سياق واحد، مما يخلق تجربة تعليمية شاملة. هذا القول اذا قلته لمتخصص سيقول لك هذا الامر لا ينفع حتى في القرن الثامن لأن العلوم والفنون متشعبة والتخصص في احدهما يعني امضاء اغلب وقت العمر فيه.لكن من الممكن انتحصل على معرفة سطحية لسائر العلوم والفنون التي تهتم بها، والمدرسة غالبا ما توفر هذا الامر.

جعل الطفل يتعلم بدافع الغريزة الفطرية للتعلم، التحرر من القيود التي تحد من قدرة الطفل او الفرد للتعلم، والتعلم بشكل شامل وكامل ومفتوح. في البداية اردت ان اكتب رسالة نقدية في حق هذه النظرية، لكن عندما اخذت اتمعن في الاسس التي تستند عليها هذه النظرية قلت في نفسي لا تستحق حتى مقالة. المشكلة في التعليم المرسي يتم اصلاحها لا احضار طريقة خيالية غير واقعية. وحتى الاطفال الذين يتعلمون في المنزل لم يكونوا دليلال على نجاح النظرية بل دليلا على نجاح الوالدين في تعليم ابنهما.

مشاكل التعلم

المشكلة الأولى (الإجبار)

ما تأخذه في الثانوية لا تتذكر أغلبه بعد التخرج. أتعلم لماذا ذلك؟ لأنك أُجبرت على ذلك. أنا لا أتذكر دورة حياة البكتيريا التي درستها في الثاني ثانوي (الثاني متوسط) لأني أُجبرت على دراستها. لماذا يُجبر الطفل في السنوات الأولى في المدرسة على كثير من الأمور التي هو بعيد عنها؟ الطفل إلى أن يجتاز مرحلة المراهقة يحب اللعب والاستكشاف بنفسه، لكن المدرسة تسلبه هذه المعرفة الفطرية. لأن اللعب ينتج عن عمل الحواس التي يتلقى منها المعرفة، وهذه الحواس هي اللعبة الحقيقية للطفل، لكنها قد تدفع بالطفل نحو الخطر، مثل محاولة الطفل لمعرفة النار وفهمها مما قد يؤدي إلى إيذاء نفسه إن لم يصدَّه أحد عن ذلك. إن هذا الجهل الشديد بالعالم من قبل الطفل هو الذي سيدفعه نحو سد نقص هذا الجهل من خلال الطريقة الفطرية لتلقي المعرفة، والتي هي عن طريق الحواس.

وهذه العملية الإجبارية من المدرسة أشبه بإرغام سجين حكم عليه بالسجن خمسة عشر سنة أن يتصور نفسه حرًا وسعيدًا، وهذا أمر غير معقول. إن الغاية التي يريدها السجين هي حتمًا ليست نفس الغاية التي يريدها السجن. وهذه الفكرة هي نفسها في المدرسة. ستجد الطالب دائمًا مُجبرًا على الدراسة، حتى الطالب المجتهد الذي يحضر إلى المدرسة في أشد الظروف هو أيضًا مرغم على الدراسة، هو لم يُرِد أن يدرس أبدًا. لاحظ هنا أنني قلت إن الطالب أُجبر على الدراسة وهو لا يحب الدراسة التي أُجبر عليها، ولم أقل إنه لا يحب التعلم لأن التعلم أمر فطري لديه، لكنه يتعلم ما يرغب فيه وما يناسبه وفق منظومته الفطرية التي تدفع به لاستكشاف الحياة بنفسه و محاولا لأيجاد الحلول بنفسه ايضا ، وفي أغلب الأحيان يواجه رغباته التي يحاول أن يتعلمها بنفسه وأحيانًا مع شخص يرشده إن أمكن. هذا الاجبار الذي يضع الشخص في موقف العداء، الطبيعة البشرية البسيط تحتم على الشخص العداء مع اي شخص مخالف له، الطفل سيكن العداء لاقرب الناس اليه اذا شعر بمعارضة له داخل الدائرة التي يعيش فيها. لذلك من المنطقي ان يعادي الطفل الطرف الاخر المعاكس في الراي الذي هو المدرسة. لن يحب اي طفل المدرسة بشكل عام مطلقا وسيتجه غالبا لكره المدرسة بشكل عام بغض النظر عن الامور التي احبها في تلك المؤسسة التي قرر بدون اي تعقيد كرهها.

المشكلة الثانية (إضاعة الوقت)

تخيل معي أنك تقضي ستة عشر سنة من حياتك في نظام تعليمي لكنك لن تتعلم منه أبدًا. كل من تخرج يقع في أمرين: الأول هو أنه لم يستفد من هذه السنين أي شيء، والأمر الثاني هو التعيين، والذي لن يحصل عليه أغلب الطلاب. لماذا أنفقت المال والوقت على شهادة لن تنفعني مطلقًا؟

لا احاول ان اعطي نظرة سوداوية لكن حقا هل السعي خلف العيش بالطرق الموجودة سيجنبنا الموت الحتمي؟ اذا مسكت اي شخص يدرس الان في الجامعة وتقول له لماذا تريد بشدة هذه الشهادة؟ سيخبرك وببساطة متناهية في الجهل، من اجل العيش، نعم اريد هذه الشهادة بشدة حتى احصل على وظيفة اعيش بمالها الثابت، وكانه يعتبر العيش هو الصورة الوحيدة التي يتجنب بها الموت، الشهادة والمال لن يبعد عنك الحقيقة التي لا مفرمنها والتي هي الموت. اتعلم لماذا انا رغبت بالشهادة؟ لست ارغب بتعين براتب ثابت بل رغبت ان اتعلم طريقة مناسبة للعيش بصورة ستجعلني ابدوا مثل الرسل عندما ارحل، ستكون حينها حياتي ابدية لا نهائية في هذا الوجود اينما وجد، لكن لم اجد هذا التعليم في النظام التعليمي، اريد ان يتعلم الناس كيفية عيش الحياة صالحة يرضاها الفرد عنما يشد رحاله عن هذه المحطة.

في آخر الامتحانات النهائية للمرحلة الدراسية الأخيرة، أخذ بعض الزملاء يتحدثون فيما بينهم عن البحث عن مقاول في البناء ليعينهم معه في حمل مونة الإسمنت أو تصنيعها بأنفسهم(عمالة). وهذا أمر واقعي لأننا لم نتعلم تعلمًا حقيقيًا في هذه السنين التي أضعناها. وعندما وقفت أمام الطلاب الذين درستهم، حاولت أن أشجعهم على الدراسة مثل باقي المدرسين، وقفت عاجزًا، لم أحب أن أكذب عليهم كما كذبوا علينا.

هذه المشكلة من أكثر المشاكل التي تؤلم قلبي وسأحاول تغييرها بكل الوسائل. ما ذنب كل هؤلاء المساكين الذين أضاعوا وقتهم ثم فجأة أدركوا أنهم في سن العشرينات وعليهم أن يبدأوا الخطوات التي من المفترض أنهم قد أكملوها في سن الخامسة عشر؟

المشكلة الثالثة (عدم العملية)

وسبب المشكلتين السابقتين هو هذه المشكلة. المناهج التعليمية غير مجدية نهائيًا لأنها غير عملية. عدم العملية هذه هي ما أجبر الطلاب وأضاع وقتهم. ربما يتعلم الطالب لعب الألعاب الإلكترونية والخداع ويجيده بشكل جيد، ولكنه لا يستطيع أن يتعلم المنهج كاملاً مطلقًا. يتعلم من الطلاب المساوئ أكثر مما يتعلم من المنهج الموضوع. له القدرة على تعلم لغات البرمجة كلها لكن ليس لديه القدرة على تعلم حرف في المدرسة اتعلمون لماذا؟ لأنه يفعل المستحيل اذا رغب اما اذا اجبر سيهمل، استبدل الاجبار بالترغيب وستخرج منهم الافضل، اسف هذا الامر صعب لأن المعلم ليس لديه الاهتمام بالتعليم هو ايضا مجبر، سحقا لهذا النظام الذي لا احد يريد ان يتطور فيه.

وأسباب هذه المشكلة هم واضعو المناهج. تكون غاياتهم متضاربة ليس لها حل واضح ولا رؤية واضحة. واضعو المناهج هم الدولة والمفكرينها معًا. هذه المناهج تكتب وتوضع بشكل غبي دائمًا من أجل تصدير أفكار الدولة التي تسير عليها. على سبيل المثال، التاريخ يُكتب دائمًا حسب فكر الدولة التي تحاول توطيد أفكارها أجيالاً. بسبب النظام التعليمي الذي وضعته الدولة النازية الذي أثر في جيل واحد، فلا ترى الأفكار نفسها. ولكن الأفكار التي وطدتها بريطانيا جيلاً بعد جيل ستبقى آثارها باقية. وخير شاهد على ذلك ما فعلته في الهند، حيث إلى الآن هناك هنود يفتخرون ببريطانيا بل ودافعوا من كل قلوبهم عنها في الحرب العالمية الثانية.

المشكلة الرابعة (الإبداع)

لن يُبدع أحد في المدارس مطلقًا لأنها مكان ليس للإبداع. ستسأل نفسك: ماذا عن المبدعين الذين نسمع عنهم؟ وهل تحسب أنهم قد تفتحت لهم أبواب الإبداع في المدارس بسبب النظام المتبع؟ لا يبدع المبدعون لأنهم يطمحون إلى أن يبدعوا. لو كان هناك شخص يعيش في صحراء ولم يدرس قط، إذا امتلك سمة الإبداع حتمًا سيبدع. وعلى الفرض أن هناك شخصًا أبدع بسبب توجيه وتشجيع أستاذ، هذا لا يعني أن النظام هو من ساعده، إنما ساعده أستاذه لأن

هنـاك بعـض الأسـاتذة يمتلكـون الـروح الأثريـة المتناقلـة مـن الأجيـال الأولـى التـي تـدفعهم لـدفع المبدع للإبداع، وبالطبع ستنسب المدرسة هذا الإنجاز لها.

فـي أحـد السـنين، انتشـر خبـر تصـنيع بعـض الطلبـة مـن دراسـة البكـالوريوس إلـى سـيارة بأنفسـهم، لكـن ذهـب الفضـل للمؤسسـة التعليميـة لأنهـا هـي مـن تحتضـن بحضـنها البـارد مثـل هـذا الـدفء بكـل بسـاطة. يُحسـب بعـض الحكمـاء للدولـة العباسـية العربيـة، فيفتخـر العـرب بهـؤلاء الحكمـاء. لكـن إذا عـدنا للحقيقـة سـنجد الدولـة مـن همشـتهم والمتـدينين الضـالين الـذين كفـروهم ورمـوهم بالفسـق والفجـور ثـم أعـدموهم. هـم نُسـبوا لتلـك الدولـة التـي قتلـتهم، فهـل هـذا الانتسـاب صحيح؟

المشكلة الخامسة (الطبقية)

مـن أكثـر المشـاكل التـي تحجـب التعلـيم عـن الفـرد هـي الطبقيـة الموجـودة لـدى البشـر. التعلـيم الحـالي يغـرس أفكـار الطبقيـة بـين الطـلاب ويـذيعها بيـنهم كأسـاس عنـدما يكبـرون. كيـف سـتزيل الطبقيـة مـن المجتمـع إذا كانـت هـي مـنهج تعليمـي منـذ الصـغر؟ وهـل الحمـق وصـل بنـا إلـى دعـوة الطـلاب للوقـوف ضـد العنصـرية، لكـن الأغنيـاء وأبنـاء المسـؤولين سـيكونون فـي المقدمـة ثـم تليهـا بقيـة البشـر إلـى آخـر صـف، وهـو صـف المنبـوذين. وقفـة ضـد العنصـرية والطبقيـة؟ حالهـا مثـل الـذي ينظـر إلـى القبـور ويقـول: هنـا القبـر لـيس فيـه أي إشـارة للتميـز الطبقـي فـي المجتمـع. ويبكـي بحرقـة، لكـن عنـدما تنظـر للقبـور سـترى الفقـراء مجـرد شـاهد بسـيط يحمـل الاسـم والتـاريخ، بينمـا هنـاك قبـور شـاهدها مـن الرخـام الغـالي. مهزلـة، يقولـون الصـلاة تسـاوي بـين النـاس، انظـروا للـدين لا يفرق، لكن السطر الأول محجوز.

هـذا التطبيـع الطبقـي لـن يـزول مهمـا كانـت نوعيـة الحملـة التـي تجتـث هـذه الخباثـة المتناميـة. وعنـدما تحصـل هـذه التفرقـة بـين الطـلاب، حتمـاً لـن تجعلهـم يتعلمـون ولـو قلـيلاً مـن هـذا النظـام التافه، إلا إذا كانت هذه المدرسة خارج الكوكب.

الطالـب الغنـي لـن يـدرس بشـكل جيـد لأنـه يعـاني مـن مشـاكل نفسـي, الفقيـر لا يقـدر ان يصـارع الحيـاة حتـى يـتعلم, اصـحاب الـدخل المتوسـط يفكـرون هـل اذا سـحبوا القـرض للدراسـة هـل سيتمكنون من العيش؟ وانا اضع يدي على خدي افكر كيف سأتحمل كل هذا.

اما عن التنمر الذي تنتجه البطبقية حدث ولا حرج, الغني والفقير والمتوسط كلهم معرضون للمضايقة من قبل القوي الشقي, ثم ماذا؟ هل سنعود للطبقية القديمة؟ القوي والضعيف والقصة السالفة. لا اريد ان اناقش بالتفصيل مسألة القوي و الضعيف بكل ابعادها. وسأكتفي بالاشارة الى ان مسألة القوي والضعيف فطرية وفطرتها اننا ضعفاء وليس فينا اي شخص يولد قوي لكن من اجل الرضوخ عند النفس يحاول الانسان ان يكون قويا. على سبيل االمثال ان المصارعين الاقوياء لم يولدوا اقوياء لانهم اصبحوا في ما بعد اقوياء لأنفسهم فقط, ومن ظن ان قوته ستطال مخلوق غير اجزائه فإنه موهوم وسيفشل ويُفشل الحياة مثل الجبارين الذين افسدوا في الارض ظنن منهم انهم اقوياء على الناس.

ومشكلة الطبقية لا تحل مطلقا لأنها اساس قيام الدول والحضارات فلذلك نجد انها تعلم منذ الطفولة في النظام التعليمي, ولأزالتها يجب ازالة الدول وهذا غير معقول, واذا كنت تزيل الطبقية فإنك تجهل انك تعيش بها اليها. الطبقية موجودة في كل اجزاء الدولة وهي ليست هوامش فيها, إنما هي تمثل الكثير من الاساسات التي تستند وتقف الدولة.

المشكلة السادسة (اللاجدوى)

... في بلداننا يتجه أغلبهم إلى الأعمال الحرة، حيث إذا توجهت إلى محل تواجد العمال (المسطر)، ستجد أنواع الشهادات في جميع التخصصات. أما البقية، فستجدهم يعملون في وظائف أدنى من تحصيلهم الدراسي. أو ربما تجد شخصًا يحمل ماجستير في الفلسفة لكنه يعمل خبازًا، وهكذا هو الحال. وبعد أن يتخرجوا ويبدأوا العمل، سيسألون أنفسهم بانكسار: "ما الذي أضعنا وقتنا عليه؟ إن كان هذا مصيري وأنا متأخر عليه."

وهذه المشكلة تؤدي إلى عدم قدرة الفرد على الاستقلال والزواج والاستقرار المادي. هل فهمتم؟ بعدها يدرك الشاب أنه ما الجدوى من هذا التعليم؟

اللاجدوى الموجودة في التعليم تظلم الإنسان ظلمًا عظيمًا. عندما يكون مصيري بعد التخرج هو أن أكون نجارًا، لماذا أضيع وقتي بشيء لا جدوى منه؟ بينما أستطيع أن أنمي مهاراتي حتى أبلغ سن الثامنة عشرة، وعندها أفتح ورشتي الخاصة وأكون قد أتقنت هذه الحرفة التي اشتغلت بها سنوات. بحيث عندما أبلغ الثانية والعشرين، أكون مهيأً للزواج وتكوين أسرة.

المشكلة السابعة (الهدف)

جميع الطلاب ليس لهم أهداف خاصة حقيقية إلا ما ندر. تكون أهدافهم إما مادية أو يكون الهدف مملوكًا للأهل وليس ملك الفرد، أو لا يملك أي هدف نهائيًا. وهذا الوضع الرتيب سببه طبعًا التعليم الذي لا يساعد الطالب على اختيار ما يريد مطلقًا. لماذا لا يوجد نظام مساعد حقًا؟ ببساطة لأنهم لا يريدون ذلك.

الطالب الذي له هدف، أو حتى لو كان الهدف للغير، سيكون هذا هدفًا للاجتياز. ودائمًا ما تعلل المدرسة سبب فشل الطلاب بعدم مراقبة الأهل. والله، صدعتم رؤوسنا بهذا الأمر الذي في كثير من الأحيان غير صحيح. السبب الحقيقي لفشل الطلاب هو النظام الفاشل الذي يرفض مساعدة الطالب على أن يكون نفسه. سيكون مجرد سجين تابع للدولة والمجتمع المتخرج من نفس تلك الخربة.

أرسطو هو الوحيد الذي تعامل مع هذه المشكلة بشكل صحيح، حيث وضع نظامًا يعتني بصحة الطفل الجسدية والعقلية حتى يكتمل عقله، ومن ثم يتم تعليمه وتتم العناية به من خلال جعله يلعب الألعاب ويمارس الرياضات التي يكون منفتحًا عليها، وتحديد نوعية الألعاب والرياضات التي ستفتح عقله عندما يبلغ السادسة عشرة. من خلال هذا الأمر، ستجعله يشعر أنه حر، لا مقيد. نحن في الإدارة المدرسية كانت لدينا قاعدة: إذا أردت أن تأخذ درسًا من المواد الأخرى عندما تحتاج إلى درس، فخذ أي درس ما عدا درس الرياضة. سيشعر الطلاب حينها بالغضب والظلم والخيانة لأنهم يعتبرون فقط هذا الدرس هو درسهم، أما بقية الدروس فهي دروسكم التي أجبرتمونا عليها.

المشكلة الثامنة (الإرضاء)

الأمر الأساسي الذي يُطلب من الطالب هو النجاح، وهو ما يمثل النظام التعليمي في كل بقاع العالم. فعندما يكون هناك أمر يشترك فيه العالم، لابد أن تكون أساليب هذا الأمر أيضًا مشتركة. وحتى ينجح الطالب، عليه القيام بأمرين لا ثالث لهما: إما أن يدرس ويحفظ ويعتمد على عقله بشكل كامل من خلال المفاهيم التي تحصل عليها، أو أن ينجح بالغش والخداع. والأسباب التي جعلت الطالب يتجه نحو الغش هو أمر واحد، وهو النجاح. لكن هذا النجاح مسوغ للإرضاء فقط، يعني أن الطالب عندما يغش فإن هذه محاولة لإرضاء من حوله، بسبب عدم رغبته في الدراسة أو عدم قدرته على فهم الدرس داخل الصف أو خارجه. وإن هناك الكثير من الطلبة يستعملون أسلوب الغش حتى ينجحوا.

أخبرتكم أن الإنسان مدفوع بالغايات وهذه الغايات مدفوعة بغايات أخرى إلى أن تصل إلى الغاية المنشئة. فلذلك أتت غاية الغش بسبب غايات غير مرتبة لمنظومة التعليم. فإن الدافع الحقيقي لمسألة الغش هو النظام نفسه. وللتخلص من هذه المشكلة الصعبة، الأمر بسيط، وهو إيجاد نظام يدفع الطالب نحو الإنتاج الشخصي له، أي جعله يعمل لنفسه.

الاصلاحات

الكثير من الحكماء والمفكرين كانوا يتساءلون ويشككون ويطرحون هذه التساؤلات والشكوك دونما أي حل، وهذا النهج ليس فعالًا كما يظن الكثير من المتصدين للفكر العقلاني، بل أراه خاطئًا. ما الفائدة من الحكماء والمفكرين إذا لم يغيروا بتفكيرهم الواقع المرير لحياة الناس؟ كل ما يفهمونه ويدركون أسراره الباطنة وهو لا ينفع الناس لا ينبغي التكلم عنه أو تعليمه. وعندي من التفكير والتساؤل ما يستدعي الجبال أن تنزل فوق عقلي، لكنني لم ولن أكتب عنه إذا لم يثبت لدي أنه سيخدم وينفع الناس.

ولتوضيح أكثر، لنفترض أنك جالس مع شخص يتكلم عن كرة القدم ولكنك لا تحب كرة القدم. هل ستستمع له بصدق؟ طبعًا لن تستمع بصدق وستبقى ساكتًا إذا كنت تخجل من القول بحقيقة ما يجول في خاطرك. لكنك ستكون مجبرًا على الجلوس والسكوت باعتبار المبدأ الأخلاقي هو المحرك لأغلب التصرفات الاجتماعية.

الناس يجهلون عمليات الإصلاح للتعليم، بسبب المنظومة الأخلاقية التي تكون مختلفة من بقعة إلى أخرى، هذا من جانب. ومن جانب آخر تعدد الغايات التي أقيمت لأجلها أنظمة التعليم. لو تمعنا بتمعن، سنجد أن السبب وراء تعدد الغايات غالبًا ما يكون أخلاقيًا، والمحدد للغايات ستكون الأخلاق أيضًا. ولتوضيح ذلك، تخيل أن هناك سدًا يسقي المدينة بالحياة وأن لهذا السد موظفًا يعمل على فتحه وغلقه والاعتناء به، وهو أيضًا يستفيد منه ليعيش الحياة. لذلك، السد لا يعمل من دونه وهو لا يعمل ويعيش من دون السد أيضًا.

فالأخلاق تنبع من الغايات، والغايات تنبع من الأخلاق أيضًا. ستكون غايتي أن أساعد الفقراء، وسبب هذه الغاية هو الأخلاق، وسبب هذه الأخلاق هو غاية أعلى، وهكذا دواليك.

ولفهم مشكلة عدم القدرة على الإصلاح، يجب فهم الغايات والأخلاقيات التي أنتجت التعليم.

الطرح الجديد

وهذا الطرح سيستمد بعض الأفكار التي طرحها الحكماء السابقون لكون الفكرة التي انطلقت كانت الأجمل، وتكسيرها ورميها على الأرض سيجرح أقدام أطفالنا. ولفهم أسباب الطرح، يجب علينا فهم المنظومة بالكامل. وفهم المنظومة يتطلب أمراً واحداً، وهو فهم الغاية الأسمى والبناء عليها وترك الغايات الأخرى التي تضر ولا تنفع.

الأفكار التي انطلقت مني غير كافية لبناء منظومة كاملة، لأن مثل هذا الأمر يحتاج إلى عقود وكثير من الباحثين حتى تكتمل الصورة المثلى. ولكن ما أحاول وضعه هو هل ستدخل عليه غايات أخرى تظلِّل الغاية الأسمى؟ أي بمعنى ما هي الغاية التي إذا وُضعت بجانبها غايات أخرى أبطلت جميع الغايات وبقيت هي وحدها؟ هذا ما سأبحثه، وأما بقيت الأفكار البنائية ستُترك للمفكرين.

سبق وأن تحدثت عن أسباب انحراف التعليم عن المبدأ الذي انطلق منه، ولكن لا أستطيع منع البشر من وضع الغايات التي تهواها أنفسهم، لكن سأضع غاية إن وُضعت بجانبها غاية أخرى أبطلت الغاية الأخرى. وكيفية الوضع يحتاج إلى مقدمات حتى يتم تعقلها بصورة يسيرة.

ما هي أسباب تعدد الغايات؟

ظاهر الأمر سيكون سبب تعدد الغايات هو الأخلاق، لكن هذا هو السطح، ولن ينفعنا لفهم التعدد الحاصل. الأسباب وإن تعددت والمبادئ حتى لو توحدت، سيكون هناك حتماً خيط يربط الاثنين معاً، وهذا الخيط هو الغاية الأساسية.

حقيقة الأشياء إذا نظرت بتمعن، ستجد غاياتها هي التي تحركها في عالم الإمكان. ربما تمدد المادة المظلمة في العدم لغاية وهي ملء العدم. هذه الغايات إذا فهمناها، سنعرف حقيقة الشيء. لو عرفت غاية الغاية من شخص يحمل سكيناً ويرتدي قناعاً، إذا فهمت الغاية، ستعرف حقيقته الكامنة. لا أقصد فقط حقيقة الحالة المؤقتة، إذا علمت أن غايته كانت قطع الطريق والقتل، ستعلم حقيقة هذا الفرد المتوحش. إنه وحش وانتهى، والمبررات لهذا الوحش مبررات شبه واقعية، مثل كون المجتمع قد ظلمه، والخ من الأمور التي الآن يتم الترويج لها من قبل وحش هذا العصر. هي أمور غير واقعية. الواقع أن هذا الشخص يقتل، يسرق، يفسد، أما لوم المجتمع والمحيط فهو مجرد تبرير لأخطائهم الواقعة. إذا حمل طالب سلاحاً وذهب للمدرسة، سيلومون الطلاب الذين تنمروا عليه، ولن يلوموا نظامهم الفاشل.

تخيل معي أنك إذا لم تجد خبزاً لتأكل وعندما تدفعك نفسك للسرقة، ستكون سارقاً بكل الأحوال، ومبررات السرقة ستكون الجوع والحاجة. ستلام أنت والمجتمع، أما النظام فلا يمكنك لومه، لأنه دائماً على حق. هذه الصورة النمطية التي تُصور الآن للناس هي التي تدفعهم وتحثهم على لوم شيء غير واقعي. كان في السابق ينظر للأشرار في قصص الأبطال الخارقين على أنهم مقززون، ولا يجب أن تتعاطف معهم أو أن تحبهم. لكن اليوم أصبح لهذا الشرير قصة جانبية تظهر مدى قسوة الناس عليه وتبرر سبب أفعاله، وأن الناس هم السبب الأول والأخير، والدولة هي من تدعم مثل هذا التحول في الأعمال حتى يخلقوا صورة التعاطف مع الأشرار.

الغايات لها جذور، والتغير الذي يحصل هو في النمو فقط، لا في الجذر. ولتفهم الموضوع أكثر، تخيل أنك تعرضت في طفولتك إلى فكرة مفادها أن النساء عليهن الاحتشام والستر حتى تحافظ على نفسها من توحش المحيط. لكن عندما وصلت إلى سن الشباب، تغير التعرض قليلاً، حيث أصبح أن النساء يجب عليهن أن يلبسن ما يردن، وأصبح التعرض أكثر حدة. عندما

تقدمت قليلاً، سيصبح اللبس القصير هو الهوية الحقيقية، ومن ثم تصل لنا أيام التعري، وهكذا الحال في جميع هذه الأمور. غاياتها قديمة، ليست نتاج اليوم، هذا النمو طبيعي جداً لهذه الغايات التي تصورها الكثير من المفكرين بغض النظر عن كون غاياتهم صالحة أم طالحة. فإن لهذه الغايات نمو، وهذا النمو مترتب على نمو آخر قبله، لا يسبقه أو يجيء بعد بعده، حيث العدد اثنين جاء بعد الواحد وقبل العدد ثلاثة، لا يتغير هذا الترتب أبداً.

وهذه الغايات عندما تنمو تحتاج في أثناء هذا النمو إلى غاية أخرى تكمل هذا النمو حتى تصل إلى الغاية الأسمى. وضع السماد للنباتات ليس هو الغاية الأسمى للنمو، بل هو يساعد في الغاية الأسمى للنمو لأنه لن يحقق غاية النمو وحده، ولا الماء. إنما هو أيضاً مساعد للوصول للغاية الأسمى. وحركة ذات النبات الجوهرية أيضاً هي ليست هي الغاية الأسمى للنمو. لذلك فإن هذا التعدد للغايات ليس سوى مساعد ومكمل للغايات الأخرى. الغاية من الزواج ليست الجنس أو التكاثر، هذه غايات مساعدة لغاية الزواج الأسمى، التي هي السكن الذي يجعلنا متزوجين عمراً، وبقية الغايات مساعدة.

لكن هناك بعض المواضيع لها غايات سامية مختلفة. على سبيل المثال، جيش يخرج إلى الحرب. في المرة الأولى، هذا الجيش خرج للدفاع عن الناس وضمان الحق، ولهذا هدف أسمى، وهو هدف خير. وفي المرة الثانية، كان هذا الجيش خارجاً لاحتلال الأراضي والقتل والنهب، ولهذا هدف أسمى آخر، وهو هدف شراني. سيكون الأمر دائماً هكذا.

لماذا يسعى الإنسان للغايات إلى الكمال؟

"ليس للإنسان إلا ما سعى، وإن سعيه سوف يُرى." طبيعة الإنسان هي سد النقص والوصول للكمال، لكن الإنسان يستطيع الوصول للكمال المَقوّم، وهو الكمال الإنساني فقط. أما ما طرحه الحكماء عن الوصول للكمال الوجودي، فإني أرفض هذا لعدم كونه واقعياً. الإنسان لو شرب أسرار الحياة كلها، لا يستطيع أن يكون النجم الذي سينفجر في السماء، فإن هذا غير واقعي أبداً. لكن أعتقد بطريق الحكمة للوصول للإنسان الكامل. أما من هو الإنسان الكامل؟ فإن هذا يتطلب بحثاً آخر ربما في القادم.

الإنسان بطبعه إذا وجد نفسه عرياناً، سيحاول أن يستر نفسه، وهذا أمر فطري بسبب الشعور بالنقص الظاهري. وهذا النقص واضح لدى الفرد، ثم سيحاول ملء هذا النقص من خلال الملابس، وهكذا بالنسبة لبقية الأمور التي يحاول فعلها الإنسان. أما النقص الثاني، فهو النقص النفسي. إذا كان الشخص جائعاً، فإنه سيحاول ملء هذا النقص الحاصل في الطعام، وهكذا بالنسبة لبقية النفس من الشهوة والتفكير وغيرها. لكن هناك نواقص أساسية يحتاج الإنسان أن يملأها حتى يبدأ في الكمال. على سبيل المثال، اللغة. فإنه يحتاجها حتى يفهم من أقرانه ما يحتاجه من المعرفة، وهي بداية الطريق للكمال الإنساني، وكذلك للنقص الإنساني العظيم الذي سأوضحه فيما بعد. ويشير الفارابي إلى أن طبيعة الإنسان لا تسمح له بالوصول إلى الكمال: "إن المبادئ الطبيعية التي في الإنسان وفي التعليم غير كافية في أن يصير الإنسان بها إلى الكمال الذي لأجل بلوغه كون الإنسان"1. هذه المبادئ هي نفسها التي تحجب الإنسان عن معرفة حقيقة ذاته حتى يصل بالكمال إلى الأصل الذي من أجله خلق الإنسان.

ومثلما أن هناك كمال بشري، يكون هناك أيضاً نقصان بشري. وهذا النقصان طبيعي إذا كان المسلك الذي يسلكه الإنسان رذيلًا وليس فاضلاً. في خط الأعداد هناك محورين، أحدهما متزايد والآخر متناقص. فمن الطبيعي إذا كان X يتجه نحو الموجب، فإن القيمة ستكون بتزايد. أما إذا كان بالاتجاه المعاكس السالب، فإن قيمته ستكون بتناقص. لذلك كانت طبيعة مبادئ الإنسان مخالفة للكمال. لو أنها لم تخالفه لم يحصل لها أي نقصان.

ومحاولة الإنسان لملء النقص بمفرده فشلت فشلاً ذريعاً. فاتجه إلى الأسلوب الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه من تطور ورقي، وهو محاولة الوصول للكمال عن طريق التعاون بين البشر. وهذه المحاولات أخرجت لنا فكرة التعليم حتى يختصر الشخص المسافة التي قطعها السابقون لإكمال الطريق ورفع راية من بعدهم. وهذا هو جوهر التعلم. لو لم تكن في الجامعات الدراسية المخصصة لكل البحوث، على سبيل المثال في الفيزياء، تخيل ما توصل إليه أينشتاين في النسبية خاصته. إذا لم يتم تعليمهم بشكل جماعي، سيكون على فرد إعادة اكتشاف ما توصل له أينشتاين بنفسه، وهذا الأمر مستحيل. لذا بدأ البشر بالتطور بعد أن نظموا التعليم. أما قبل ذلك، البشر لم يتطوروا أبداً. لذلك حاول الرجوع وتفتيش الحضارات، وأتحداك أن تجد لي حضارة أقامت اقامة نفسها من غير وجود لنظام تعليمي ينقل المعلومات ويرتبها للوصول الى الابداعات والتطورات التي على اساسها تتطور وترتقي تلك الحضارات. وكانت بداية اول حضارة في تاريخ البشرية هي عند بداية الكتابة والتعلم.

وهذا الاساس والغاية من التعليم هي من اجل الكمال الانساني فإن الغاية لسد النقص هي من دفعت الانسان نحو التعلم, والتعليم الذي وضع بنظام معين لتسهيل واختصار الطريق. تخيل معي ان هنالك لعبة تلعبها في كمبيوترك وعندما تقتل فيها في اي مرحلة فإنك دائما ستعود الى البداية, وكل شخص يتحتم عليه اعادة كل ما اجتازه سابقا, لكن هنالك العاب اذا مت في مرحلة, فإنك ستعود الى المكان الذي قتلت فيه لذالك ستكمل من دون العودة الى البداية.

ولفهم الغايات اكثر يجب فهم الطبيعة النفسية والجسدية للانسان, حيث تكون الغاية التي يريدها الانسان هي غاية نابعة من الذات و هو لا يتشابه مع سائر الكائنات بالغايات والعكس, كانت الغاية من الانسان ان يسير على قدمين هو الطبيعة التي اتاحت له هذه الغاية وهكذا بالنسبة لبقية الغايات.

ما هي الغاية من السعادة؟

للإجابة على هذا السؤال علينا اولا فهم ماهية السعادة. والسعادة بأبسط صورة دائما تكون الراحة النفسية والنشوة, متى ما احس الانسان بشيء من السعادة كان في وضع تكون فيه نفسه مرتاحة, لا يشترط السعادة الجسدية لأنه من الممكن ان تشعر بموجة من السعادة تضربك بسبب خبر افرحك وانت منهك من العمل, فليست الراحة الجسدية هي السعادة, انما هي امر معقد لأنه نفسي, ولو كان فهم معنى السعادة بسيط لما احتجنا الى دراسة وفهم معناها الى يومنا هذا.

لكن لماذا افترض الانسان وجود السعادة؟ علينا ان نفهم ان الانسان اذا افترض وجود حالة ما فإنه يفترض وجود الحالة على اساس التميز بين الحالة المعاكسة لها, ثم يكسبها معنى لفظي ويجعلها للأفهام حاضرة حتى تتم المعرفة. لكن الانسان اليوم اذا تكلم عن السعادة فإنه سيتكلم عن امر خيالي لا وجود له. يبحث عن السعادة في هذه الحياة, اذا كانت السعادة التي هي بمعنى الراحة النفسية فإن هذا مستحيل, لأن القانون الذي تسير به هذه الحياة لا يمكن ان يسمح بحالة معينة ان تدوم مطلقا, العلم والحكمة كلها تقول بنسبية الحياة وعدم الثبات, فكيف تطلب ان تدوم حالة في وسط كل ما فيه متحرك, وهذه من ابسط المسائل التي استغبى فيها الكثير من الحكماء والمفكرين, انت حينما تكون جالسا لا تعتقد انك ثابت بل انت بحركة مستمرة انت ثابت بالنسبة لك لكن لست ثابت بالنسبة لكل شيء. واما اذا كانت السعادة بمعناها الخيالي

حاصلة فإنها ستعارض الواقع, وكيف لأمر يخالف الواقع ان يحصل فيه؟ اذا السعادة ليست سوى امر نسبي لأنها نابعة من نسبة الاشياء التي تولدها من الاساس.

اذا كانت السعادة غاية نسبية, وهي حاصلة بسبب نسبية المطلب فإنها تعتبر اساس جميع الغايات, اذا كانت هنالك غاية جنسية فإن الانسان لا يبحث عنها اذا لم تكن لها رغبة وهذه الرغبة هي اللذة وهذه اللذة هي السعادة المعروفة, ولكن هل هذه السعادة دائمة؟ قطعا لا لإن الجنس نسبية ولذته دقائق معدودة اذا كانت هنالك لذة اصلا. فإن هذا يشير الى ان الانسان يبحث فعلا عن السعادة في هذه الحياة وهي مطلب كل المطالب, حيث ان الانسان لن تكون له غاية في الجنس ان لم تكن له فيها سعادة, فإن غاية الغايات هي السعادة. الانسان يبحث عن الكمال لأن غايته السعادة.

لكن السعادة تختلف من شخص الى اخر بأمرين هما الذوق والمعرفة. اذا كان ذوق ومعرفة الفرد في سلك ما, فإن سعادته حتما بنفس السلك, اذا كان هنالك شخص يشعر بالسعادة عندما يتناول لحم خروف, فإن هنالك شخص لا يشعر بنفس السعادة, لأن ذوقه ومعرفته تجعله يشعر بالسعادة في طعام اخر. وان هذه المسألة تعتبر اساس اخلاقي, حيث انه اذا علمت شخص ما على ذوق ومعرفة في امر ما فإنه سيحاول ان يتحصل على سعادته من الذوق والمعرفة التي تعلمها. لنفترض انك علمت شخص على ذوق ومعرفة خاطئة فإنه سيبحث عن حالة السعادة في ذالك الخطأ, كأن تعلم هذا الشخص على تذوق ومعرفة الزنا فإنه سيحث عن سعادته بالزنا وهكذا.

تعليم الطالب على الذوق والمعرفة الاخلاقية الصحيحة ستنتج مجتمعا اخلاقي. لكن في المدرسة نتعلم الذوق والمعرفة الاخلاقية, لكن لا نحصل على ما نبتغي لأن المشكلة الكبيرة التي اتمنى ان يلتفت اليها كل شخص باحث ومفكر هي (عجز النظام على جعل المدرسة مكان يشعر فيه الفرد بالسعادة). انت يا من تقرأ اتحداك ان تقول انني كنت اشعر بالسعادة عندما تجتاز قدمي باب المدرس بل الكل كانوا يشعرون بالسعادة عندما تجتاز اقدامهم باب الى الخارج هربا منها. اذا كان الطاب يشعر بالسعادة للخروج كيف تريده ان يكون انسان صالح عندما يدخل الى نظام يمقته ويعتبره مصدر للشقاء. كيف لا فإن هذا الشعور بالحقد والغضب من المدرسة جذوره منذ الايام الاولى التي كانت تحرمه من اللعب وتضعه في الزنزانة(الصف), اي سجين سيخبرك اني احب السجن؟ ما عداي طبعا لأني سأبعد عن نفسي

بالسجن هم الاكل والشرب والعمل والتفرغ للحكمة والمعرفة لكن هذا صعب المنال بنسبة لي لأني ملتزم.

ولفهم اختلاف الرغبة بالسعادة ايضا بجب علينا فهم النفس البشرية وهذا بحث اخر لا ينبغي ذكره هنا الان. هنالك سؤال اخر, اذا كانت السعادة الدائمة لا يمكن تحصيلها في هذا العالم فكيف يمكن تحصيلها اذا كنا نؤمن بالثبات بعد نهاية الحركة؟ اعتقد ان هنالك دوام لأن العالم المادي اذا انتهى حتما ستنتهي نسبية الاشياء التي سينتهي معها الجسد لأن الدوام بالنسبة لشيء مرتبط بالنظام النسببي محال, اذا قطعت رأس انسان فإن دوام الحياة المادية له محال لأنه يحتاج ذالك الجزء, فإن دوام شيء نسبي من المحال, فإن دوام الحالة بدوام صاحب الحالة وفي هذا المطلب ستدوم حالة النفس بإعتبار الانسان يبحث ادامة الرغبات التي تنبع منها.

النظام الانسب

بعـد أن فهمنــا طبيعــة النظــام المتبــع حاليًــا وعجـزه عـن تحقيـق الغايــة الأسـمى التــي أوجدتــه، رأيـت أنــه لـيس مـن المناسـب الانتقـاد دون عـرض مـا هـو مناسـب. ومـا سـيُطرح لـيس بنظـام جديـد، بـل هـو موجـود لكـن لـم يكـن مرتبًـا، فأخـذت علـى عـاتقي ترتيبـه عبـر التـاريخ بفهـم التعلـيم. وتجـدر الإشـارة إلـى أمـر مهـم وهـو أننـي لـم أضـع منهجًـا، إنمـا هـذا الطـرح هـو فقـط الأسـاس الأنسـب الـذي أعتقـده، والمنــاهج ستوضــع بعـد الأسـس التــي أضــعها فــي هـذه الرسـالة. وأدعـو إلــى إحـداث ثـورة للإطاحة بالنظام العاجز، ووضع نظام صحيح بواسطة أصحاب العقول المتحررة.

فـي هـذا النظـام، تكـون الدولـة فقـط مهيئـة لحاجـة النظـام ولا يُسمح لهـا بالتـدخل فيـه مطلقًـا. لأن النظــام إذا تــدخلت فيــه الدولــة ســتعمل علــى توجيــه إنتــاج التعلــيم. إذا كــان توجــه الدولــة عســكريًا، ســتجعل مــن اختراعــات الطلبــة القنابــل والمتفجــرات، أمــا إذا كــان توجــه الدولــة نحــو العمــارة والبنــاء، فسـيكون توجيـه التعلـيم نحـو العمـارة والبنـاء. هـذا مرفـوض، لأن فـي النهايـة علـى الطـلاب تحديد ما يحتاجونه وما يحتاجه العالم منهم.

وأمـا وظيفـة الأهـل فهـي التشـجيع فقـط، ولا يحـق لهـم تحديـد مـا يريـد الطالـب، فـإن هـذا سـيقتل سـمة الإبـداع لـدى الطالـب. ومنـع أي مظهـر مـن مظـاهر الأفكـار التـي تخـل بسـلامة التفكيـر والعقـل أيـن كانــت، سـواء سياسـية دينيـة أو غيرهـا. ويجـب النظـر إلـى الطالـب بعـد أن يبتكـر الشـيء الـذي يعتقـد أن المجتمـع يحتاجـه بالدرجـة الأساسـية، لا مـا تحتاجـه الدولـة، لأن احتيـاج الدولـة الحقيقـي هـو حاجـة مجتمعيـة، أمـا إذا احتاجـت الدولـة إلـى حاجـة أخـرى منافيـة فإنهـا ليسـت حاجـة صـحيحة. لـذلك علـى هـذا الطالـب أن يعتقـد أن المجتمـع يحتـاج إلـى طاقتـه الفكريـة ليختـرع ويبتكـر ويبـدع، لا أن يفكـر أنــه يحتــاج إلـى الدولـة حتـى يعـيش، فـإن هـذا سـيجعله طامحًـا إلـى الشـعور بالأمـان لأنـه سيشعر بعدم الأمان في الدولة والمجتمع.

المطلـوب مـن هـذا النظـام مطلـب واحـد أساسـي هـو أن يشـعر الطالـب بالسـعادة عنـدما يتواجـد فــي المدرســة. ولتــوفير هــذه الحالــة فــي المدرســة يجــب أن تتــوفر بعــض الأمــور التــي تجعــل مــن المدرســة مكانًــا يشــعر فيــه الطالــب بالســعادة، مــن حيــث شــكل البنــاء والمعلمــين والمكــان والنظــام الـذي سـيحقق حالـة مـن السـعادة. كيـف ستشـعر بالسـعادة فـي مكـان متهالـك ومـا يحيطـه فقـط النفايـات والأوسـاخ بغـض النظـر عـن نوعيـة النظـام المتبـع؟ كـل هـذه العوامـل ستشـكل نوعًـا مـن النفـور. إذا كنـت فــي غرفــة متعبــة لا تتــوفر فيهــا سـبل الراحــة، فعنـدما يسـألك شـخص هـل تحـب غرفتـك مـن

المستحيل أن تقول نعم. هذه الأمور يجب تلافيها عندما يُطبق النظام، وبالخصوص عند المرحلة الثانية والثالثة لأنها ستحتاج إلى ورش كاملة حتى يتم ذلك.

لفهم النظام بصورة صحيحة، يجب علينا فهم أهداف النظام التي ستستخلص من النتائج الحاصلة في الحقائق. لكن المشكلة الوحيدة هي أن النتائج التي سيتم الحصول عليها تحتاج إلى قرابة أربع وعشرين سنة حتى تُقطف.

هذا النظام سيتكون من أربع مراحل ومرحلة جانبية، ولكن نظام الرسوب في المرحلة الأولى والثانية ليس الإعادة فقط تحديد عدم رغبة الشخص بهذا الدرس، لكن النجاح والرسوب فقط في المرحلة الثالثة والرابعة.

ولشرح النظام بشكل مبسط يجب أن يفهم القارئ أن هذا الطرح قابل للتطوير وفق الغايات التي سيتم وضعها وهي كالتالي:

1- يجب أن يكون النظام موفرًا للفرد الشعور بالسعادة لا النفور.

2- لا يجب أن يُفرض على الطالب ما سيكون في المستقبل لأي سبب كان.

3- لا يجب تعليم المعارف العقلية التي تحتاج إلى تفكير وتحليل معمق دون سن الخامسة عشر.

4- لا يجب حرمان الفرد من اللعب إلى سن الخامسة عشر.

5- يجب أن يتذوق ويعرف الطالب الأخلاق إلى سن الرابعة عشر.

6- إعطاء الطالب الحرية في تحديد مساره، ومساعدته في ذلك.

7- درجة الأخلاق هي المهمة في تحديد مكان الطالب في الدولة.

8- توحيد الزي من المرحلة الأولى إلى الرابعة، ويكون هذا الزي من مهام الدولة وهو من الضروريات في النظام التعليمي، لنفي الطبقية بين الطلاب ظاهرًا وباطنًا.

مراحل النظام:

لماذا هذا النظام؟

هـذا النظـام يخـدم التطـور أكثـر حيـث يشـجع علـى زيـادة الاختراعـات والابتكـارات، وسـيكون جميـع الطلبـة مطـالبين بالابتكـار والاختـراع، وهـذا سـيرفع مـن معـدل التطـور التكنولـوجي وكـذلك يزيـد مـن معـدل ذكـاء الأفـراد لأنـك سـتدعوه إلـى عمـل يعملـه بنفسـه. الإنسـان بطبعـه إذا تعامـل مـع علـم بكـل حواسـه سـيفهم ذلـك العلـم، فـإذا طالبتـه بعمـل شـيء هـو يرغـب بعملـه حتمًـا سـيفتح أمامـه بـاب ذلـك العلـم علـى مصـراعيه. لكـن أكـرر أن الطالـب هـو مـن يختـار بمسـاعدة النظـام لا أن يفرض النظام ما يريد عمله، فإن هذا من المحرمات عندي في هذا النظام.

سـيثبت هـذا النظـام الأسـس اللازمـة التـي تحتاجهـا الدولـة مـن الأخـلاق السـامية. وهـو حتمًـا سـيقلل مـن التـدهور الاجتمـاعي بسـبب التوزيـع العـادل بـين الأفـراد وكـذلك سـيزيل الطبقيـة مـن أفـراد المجتمـع، يجعلهـم فـي سـباق نحـو مـن سـيفعل الفضـيلة والخيـر أكثـر، لأنهـم سـيتذوقون ويعرفون فعل الخير من المرحلة الأولى.

ستكون لهـذا النظـام القـدرة علـى تحديـد قـدرة الفـرد علـى العمـل وأداء الواجـب، علـى العكـس مـن النظـام المتبـع الـذي لا يضـمن ذلـك لأنهـم يدرسـون أكثـر ممـا يعلمـون، وهـذا لا يعطـي الثقـة للفرد بالعمل بجدارة، لأنـه بعد أن يقبل بالوظيفة سيحتاج إلـى وقت طويـل حتـى يجيد العمل، بينما في هذا النظام لن يحتاج وقتًا طويلًا لأنه سيكون متعودًا على الأعمال وقادرًا عليها.

مـن أكثـر المشـاكل التـي تعـاني منهـا الـدول هـو فسـاد موظفيهـا وبالخصـوص العـراق، لأن النظـام التعليمـي ينـتج هـذا الفسـاد، مـن خـلال التركيـز علـى تـدريس العلـوم التـي لـن يتـذكرها الطالـب عنـدما يتخـرج، ولكـن تُهمـل القـيم الأخلاقيـة. وهـذا الإهمـال أو توجـه الدولـة الفكـري سـيعلم الطـلاب تلـك التوجهـات التـي هـي سـبب فسـاد المـوظفين. وحتـى العمـال الـذين يعملـون فـي الأعمـال الحـرة أصـابهم شـيء مـن الفسـاد لأنهـم قـد درسـوا. أسـاس الفسـاد فـي المجتمـع هـو إهمـال النظـام لـزرع وترسـيخ القـيم الأخلاقيـة الحميـدة، مـن خـلال الوصـول إلـى الملكـات النفسـية لضـبطها، لكـنهم انشـغلوا فـي ترسـيخ العلـوم التـي لـم تشـغل الطالـب، فالنتيجـة أن الطالـب عنـدما ينتهـي مـن الامتحـان ينسى ما درس حتى يرضيهم فقط. وهذه المشكلة لن تكون موجودة في النظام المقترح.

المرحلة الاولى

تبدأ هذه المرحلة في بداية الرحلة الحسية للطفل من عمر الخمس سنوات وتنتهي في عمر التسع سنوات, يكون الطفل في هذه الفترة منجذب نحو الاستكشاف الحسي بكامل التركيز والاهتمام لذلك الغرض من هذه المرحلة ليس ان يتعلم القراءة والكتابة, لأنه اذا كان هذا هو الهدف سيكون الطفل في محل للظلم ولكن اذا كان الطفل في هذه المرحلة يستكشف بواسطة حواسه العالم و يتلقى المعلومات منه عن طريق اللعب فان افضل طريقة لزيادة حدة حواسه و اهتمامه هي من خلال جعله يتعلم من خلال اللعب. لا يجب على الطفل ان يسجن في غرفة لمدة ساعة, والجلوس من غير حراك وجعله يستمع الى المعلم او المعلمة يثرثران عن امور هو لا يعيرها اهتمام, اذا كانت هذه الطريقة السيئة في التعليم هي اساس الشخص فان هذا الاساس هو حتما اساس هش لا اعتماد عليه عندما تعصف العواص به مستقبلا.

السعي الى تنظيم اللعب لدى هذا الطفل وتوجييه نحو الالعاب التي تزيد من مستوى ذكائه الحسي والنفسي هو انسب حل, ويتم ذلك من خلال جعل اللعب هو الدرس, سيكون الطالب تواقا الى تلك الدروس لانها ترضي حواسه, وخلال هذه السنين الخمسة ستصقل حواسه بشكل اسرع و افضل, وخلال هذه السنين سيتعلم الرياضيات واللغة المطلوبة وايضا تكون على شكل اللعاب, عندما يلعب الطفل الالعاب التي ترتبط بالرياضيات سيفهم الارقام وسيشعر بها و في المستقبل سكون قادر على فهم المسائل الرياضية بشكل اسرع وافضل وكذلك بالنسبة للغة, ارى ان القنوات اللتي تعرض الرسوم المتحركة المثيرة للاهتمام لدى الطفل تكسبه لغة لو حاولت المدرسة الف سنة ما اكسبته ايها كما فعلت الرسوم المتحركة.

جعل الطفل يتفاعل مع المحيط و يتواصل مع اقرانه من الاطفال سيكون مكسبا لهذه المرحلة, وسيكون هذا الطفل مكسبا للمجتمع. من الخطأ عرض العلوم على الطفل ذلك حتراما للطفل والعلم. كم عالما يتم سبه يوميا من قبل الطلاب؟ اسحاق نيوتن المسكين اسمع سب الطلاب الذين ادرس معهم من عمر التاسعة الى ان تخرجت من الكلية هو يتعرض للسب لماذا يتعرض العالم للسب من قبل المتعلمين؟ اليس هذا يدعوا للتسائل؟ لماذا الشخص الذي يتعلم من علوم العالم يسب العالم؟ الجواب لأنه لا يتعلم مطلقا. لو تعلم هذا المتعلم حقيقة من العالم لأخذ يشكر العالم الى ان يموت. ملخص الكلام يسب العالم من المتعلمين لأن المتعلمين لا يتعلمون

من ذلك العالم شيء بل يجبرون على تعلم ماهو مكروه فيسبونه لأنهم اجبروا اكراها على التعلم منه فسبوه.

المرحلة الثانية

تبدأ هذه المرحلة من عمر العشر سنوات وتنتهي في عمر الخامسة عشر. وتتسم هذه المرحلة بدمج الحواس التي صقلت في المرحلة الاولى مع التحليل و الفصل لامور التي تعلموها في الحياة. لكن يجب الاشارة الى انه في هذه المرحلة اللعب لا ينتهي لكن تدريجيا يقل. هذه المرحلة هي المفتاح للمرحلة القادمة,لذلك يجب ان يكون الحذر فيها هو العنوان, في هذه المرحلة يكون الطالب قد تهيئ حتى يتلقى من العلوم بداياتها وبفضل ما لديه من حدة في الحواس وكذلك انتباه شديد سيكون قادر على التعاطي التام مع يتلقاه ويجب ان تكون المادة التي يتعرض لها الطالب تتوافق مع مستواه الحسي والتفكير, لأن من الخطأ الطلب بالصعود للاعلى من دون بناء سلم يتسلقه الطالب خطوة بخطوة.

من المهم الاشارة الى مسألة غاية في الاهمية وهي الابتعاد عن تدريس الدين مطلقا, من الافضل ان يكون الطالب متسائل بالامور الواضحة وليس مشككا ومتسائلا بالمور المضحلة. لكن من المهم ان يكون التعليم الاخلاقي في قمته, وقصدي من التعليم الاخلاقي هو التعليم الاخلاقي الانساني الذي يرشد الانسان نحو الكمال الانساني والنبذ للخلق الحيواني المتأصل بالطبيعة المادية. الاخلاق التي تجعل من الطالب يحاول النجاح من دون اللجوء نحو الغش وكل ماهو غير صائب.

من المهم تناول العلوم التطبيقية قدر الامكان في هذه المرحلة, الاكثار من المختبرات والرحلات العلمية المطلوبة التي تنمي من المعرفة وتجعل من التسائلات العقلية التحليلية تنبع بعدما كانت مقتصرة على الحس وما سواه. لذلك من الضروري التعليم عن طريق الفكر والحاسة حتى يصل العقل البشري في هذه الامور الى ذروته ويكون منفتح امام ابواب الحقيقة, ومتقبل للانوار الرقيقة التي تضيئ العقول البريئة بالعلوم النبية.

المرحلة الثالثة

تبدأ هذه المرحلة من سن السادسة عشر حتى السابعة عشر هذي المرحلة القصيرة بالوقت العظيمة بالاثر. تمتاز هذه المرحلة بالورش العملية في مختلف المهن التقليدة او الحديثة ويرافق هذه الورش دروس نظرية تمد الورشة بالعلوم المناسبة حتى تكون الورشة المكان المناسب للابداع.

في هذه المرحلة الطالب يكون قد عمل في جميع هذه الورش من الحرف اليدوية او الحرف الالكترونية وجميع المجالات والعلوم. وهذه المرحلة ستكون مرحلة التهيئة الى المرحلة المصيرة الرابعة,لأبد للطالب انه قد نضج وحان وقت القطف حتى يستطيع ان يكون مستقلا ويتعلم بذاته بشكل تلقائي وهذه اهم نقطة في جميع المراحل وهي دفع الطالب الى ان يتعلم بنفسه وهذه افضل طريقة للحصول على طاقات مذهلة تخدم المجتمع وتعمل على الزيادة من تطويره ورقيه.

لابد ان نشير الى ان هذه الورش تدار من قبل اصحاب الخبر والاختصاص نفسهم, حتى يكون الطالب امام حقيقة التعلمي لا التزيف والتملص من قبل المعلمين الذين قد نزعوا قيمهم الاخلاقية ودخلوا ليشكلوا اخلاق هذه الطاقات وتكسيرها حتى لا يحصل المجتمع على مياه صافية جديدة تنعش الارض وتقتل الافات الفاسدة التي تحول دون ذلك. نعم هي مجرد سنتين لكن هذه السنتين كفيلة بتحويل مجموعة من الطلاب الى مبدعين او الى حفنة من الخاسرين لذلك هي مهمة.

المرحلة الرابعة

تبدأ هذه المرحلة من عمر الثامنة عشر الى العشرين. وهي مرحلة الختام بالنسبة للتعليم المدرسي. بعدما دخل الطلاب الورش في المرحلة السابقة وتعلم العلوم المرتبطة بتلك الورش سيحدد الطالب بورشة واحدة في هذه المرحلة يعمل فيها, وتحدد هذه الورشة من خلال افضل اعماله ونتائجه في الورش التي درسها في المرحلة السابقة. وسيطالب في هذه المرحلة ان يبدع حتى يجتازها وصولا للجامعة, من خلال مشروع البحث الذي عمل عليه خلال السنتين.

الطالب في هذه المرحلة بعد اكمالها سيكون قد حقق نجاحين,الاول هو العبور من المرحلة,والثاني هو اكتاسبه حرفة تمكنه من عيش حياة اذا لم يرد ان يكمل الدراسة, او خذلان الدولة المعتاد للمتخرجين, المطلوب منه فقط العمل بما يعرف وما تعلم في المرحلة الثالثة

والرابعــة. وارى انــه مــن المناســب ان الدولــة تــوفر لهــم المــال المناســب للامضــاء فــي افتتــاح المشاريع التي تعلموها اذا لم توفر الدولة الفرص الكافية للتعين.

كلمة

و في الختام يجب أن تعلم أن أساس تطور الجنس البشري هو التعلم، والتطور الذي وصلنا له في وقتنا الحاضر يعود بالفضل للتعلم. أشير إلى فكرة التعلم ولا أقصد بها نظامًا معينًا. النظام السابق يقف عند هذا الحد، لكن نحن لا نريد الوقوف عنده أيضًا. وللتوضيح أكثر، نحن نحتاج إلى نظام تعليمي معرفي أكثر تطورًا، والهدف من هذا النظام أمر واحد تتفرع منه بقية الأمور، وهو زيادة نسبة تلقي البشر للمعلومات. ويتم ذلك من خلال تنظيم نظام يساعد على جعل الجميع يحاول أن يخترع ويبتكر من الأمور التي تزيد من الاستيعاب البشري حتى نستطيع الرقي والتطور. نحتاج إلى اختراعات تسهل علينا تعلم المعارف بشكل أسرع وأكثر وضوحًا. على سبيل المثال، زرع رقاقة إلكترونية تحمل كمًّا من العلوم التي يحتاجها الإنسان حتى ينتج. سبق وأشرت أن توسع العلوم وتشعبها ليس من صالحنا في المستوى التعليمي الحالي، فإنها ستبطئ من عملية التطور البشري، حتمًا سنحتاج إلى اختراعات تساعد عقولنا أكثر. يجب علينا زيادة الاستيعاب البشري إلى 10% من ماهو عليه الان من خلال التوجه إلى ابتكار واختراع المساعدات العقلية وجعل البشر يتجهون إلى هذا الاتجاه من خلال نظام جديد مناسب.

بسبب التطور في مجال الزراعة وزيادة العدد السكاني اتجه البشر إلى اختراعات كبيرة في مجال الزراعة. وهذه الحاجة للرقي فطرية، لكن تحتاج إلى العقول حتى تطبق، وهذه العقول يجب عليها أن تُصان وتُحمى من الحمى التي تعصف بالفكر السوي الفطري. وأنا هنا عندما أنتقد الفكر اليساري الأمريكي، فأنا لا أعني أن الفكر الأمريكي قد فشل، إنما أقصد أن الدخيل اليساري هو الذي يعطل مسألة التطور التي أقصدها بسبب الأفكار الرجعية التي ما زالوا يؤمنون بها. التطور الذي تقوده دولة مثل امريكا هو تطور مهول من كافة النواحي. وكل خطوة تخطوها امريكا في التطور تكون في جانبها خطوتين للدعاية والاعلام، لأن امريكا الحالية تدين للابتكار الاعلامي كل الشكر والامتنان. عندما تسارع البلدان المهمينة الى التطور فان في هذا منفعة للبشر لكن هذه البلدان بسبب الانانية ستكون هنلك ايضا خطورة في ذلك التطور، عندما تسمع ان امريكا تسعى ابتكار طرق لحماية البيئة وفي نفس الوقت تسعى الى تطوير وابتكار اسلحة دمار شامل اكثر قوة، هنا ستحتار هل تطورها تطور خطير ام تطور مفيد؟ والحقيقة امريكا لا تختلف باي شي عن بقية الامبراطوريات التي اندثرت بالسابق وهي ايضا ستندثر لأن الحكام الذين يحكمون هذه البلدان تخرجوا من تعليم متناقض مثل هذا التناقض. وهم بتناقضهم سيؤدون الى هلاك الحضارة.

ليفهم القارئ العزيز أن أساس المشاكل الحاصلة في المجتمع هو التعليم الحالي. وأنا يقلقني أمر سيحصل في المستقبل، وهو تسلل الأفكار اليسارية الأمريكية إلى المنظومة التعليمية، حينها ستجد أن الطفل مطالب بتغيير جنسه، وتشوش الفطرة السليمة وجعله في أسفل السافلين منذ بداية نضوجه.

وهنالك محاولة بائسة لهذا الفكر منذ نهايات القرن الماضي على توحيد مجتمعات العالم على أفكارهم الوهمية، وكانت مواقع التواصل الاجتماعي أفضل طريقة لتحقيق المجتمع الواحد. شيء جميل وفريد أن نطلع على ثقافات العالم المتنوعة، لكن أليس من الغريب أن تصدر لجميع العالم ثقافة مجتمعية واحدة؟ لو تفكرت قليلاً معي ما هو الفرق بين تيك توك والفيس بوك. الفيس بوك أساس عمله أن تكون دائرة من الصداقات التي ربما تكون محيطة بك، وإدخال الشيء البسيط من الثقافة إلى هذه الدائرة عن طريق اقتراح بعض الصفحات التي تكون مغايرة، لكن الفيس بوك قديم وهو الخطوة الأولى نحو هذا المجتمع، وتيك توك هو بداية المجتمع الذي يعمل على عرض ما يخالف ثقافتك مهما كنت تتابع عكس ما هو في فيس بوك. وأنا لا أتكلم عن فيس بوك أو تيك توك بالخصوص إنما أقصد الفكرة.

التطبيق القادم بعد تيك توك هو عبارة عن برنامج للتواصل الاجتماعي الخيالي. سيجمع المستخدمين في عالم واحد ولهذا العالم قوانينه الخاصة التي ستطبق عليهم حتى يجعلوه واقعًا. سيتيح هذا التطبيق الرذائل بحرية تامة ومن دون قيد، وهذه الحرية سيتم الصراخ بها في الواقع فيما بعد. وهذا العالم الخيالي المعالج بالذكاء الاصطناعي الذي سيحدث ثورة تلتهم جميع قيم الواقع. أدعو من الله أن لا أعيش في هذا العالم الذي سيكون محطمًا لكل مُحطم.

المصادر

-Plato. The Republic.

-Aristotle. Politics .(1946).

- Durant , W. The Story of Philosophy .(1926).

- Kant, IKritik. der praktischen Vernunft. (1788).

- Kant, I.Grundlegung zur Metaphysik der Sitten. (1785).

-Nietzsche. On the Genealogy of Morals. (1887).

- Nietzsche. Beyond Good and Evil. (1886).

-Ethica, Part I, Proposition 15, Part IV, Preface, Part V, Proposition 6

-Locke, J. Some Thoughts Concerning Education. (1693).

-Rousseau, J.J. Émile, or On Education. (1762).

-Kant, I. What is Enlightenment? . (1784).

-Dewey, J. Democracy and Education. (1916).

-Illich, Ivan. *Deschooling Society*., .(1971).

-Holt, John. *How Children Fail*. (1964).

- Papert, Seymour . *Mindstorms: Children, Computers, and Powerful Ideas* .(1980).

-Jean-Jacques Rousseau, The Social Contract (1762)

-Niccolò Machiavelli, Discourses on Livy (1531)

-Karl Marx, Critique of Hegel's Philosophy of Right (1844)

-Francis Bacon, The Advancement of Learning (1605)

- Santayana, Reason in Religion (1905)

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة 1

ما هو التعليم الاكاديمي؟ 3

رؤية الحكماء المؤسسين للتعليم الاكاديمي... 7

1-سقراط وانطلاق الفكرة 7

2-افلاطون وانطلاق الاكاديميا 8

3-ارسطو والتطبيق افكار معلميه 13

الاسلوب النهائي للمدرسة الاكاديمية الاكلاسيكية 18

الأكاديميا الحديثة 30

التعليم بين المثل العليا و المثل المنحطة 33

الاخلاق 35

التعليم الأخلاقي..37

الخرافة 39

ما هي الخرافة؟..39

الإيمان بالخرافة 39

الخرافة في التعليم...41

التعليم الذاتي 43

اللامدرسية 44

مشاكل التعلم 51

الاصلاحات 58

الطرح الجديد 59

ما هي الغاية من السعادة؟ 63

النظام الانسب 66

كلمة 73
المصادر 75
الفهرس 77